الرفق حقيقته وأنواعه وضوابطه
وأثره في الدعوة إلي الله تعالي

إعداد

أ.د/ عبد الرحمن صالح الجيران

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية

بالهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب بدولة الكويت

الرفق حقيقته وأنواعه وضوابطه
وأثره في الدعوة إلى الله تعالى

عبد الرحمن صالح الجيران

قسم الدراسات الإسلامية، بالهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب بدولة الكويت

البريد الالكتروني: as.aljeeran@paaet.edu.kw

الملخص :

تناولت هذه الدراسة خلقاً من الأخلاق الكريمة التي ينبغي لكل مسلم أن يتحلى بها، وهي أوجب في حق الدعاة، وهذا الخلق هو خلق الرفق، وقد انتظمت الدراسة في خمسة مباحث، تناولت فيها موضوعات مهمة تتعلق بخلق الرفق، منها : الرفق حقيقته والألفاظ ذات الصلة به، ومن هذه الألفاظ، اللين، واللطف، والمداراة، وكذلك شملت الدراسة الحديث عن أهمية الرفق، وأنواعه، والتي منها؛ الرفق بالنفس، والرفق بالمسلمين، والرفق بغير المسلمين، وكذلك مجالات الرفق، والتي منها ؛ الرفق في المجال العقدي والدعوي، والرفق في المجال التشريعي، والرفق في المجال الأخلاقي والسلوكي.

كذلك تناولت الدراسة خلق الرفق في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهدي النبي ﷺ وأصحابه – الكرام – في الرفق بالمدعوين، كما تناولت الدراسة في مرحلتها الأخيرة ضوابط الرفق؛ والتي منها : الرفق بلا ضعف، الرفق بلا تساهل وتفريط، الرفق لا يناقض تطبيق الشرع، وكانت آخر موضوعات الحديث عن بعض آثار التحلي بالرفق على الدعوة الإسلامية، وعلى الدعاة، وعلى المدعوين.

وقد اشتملت هذه الدراسة على عدة نتائج مهمة منها :

– إن الرفق من أنجح الأساليب الدعوية، وأنه نابع من أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى.

– من أهم ضوابط الرفق ؛ اللين بلا تساهل في الدين، ولا اقتراف للمحظورات، أو تعطيل للحدود.

الكلمات المفتاحية : الرفق ، حقيقته والألفاظ ذات الصلة ، الرفق في الدعوة ، الرفق في القرآن الكريم والسنة النبوية ، هدي النبي وأصحابه في الرفق بالمدعوين.

Leniency, its truth, types, controls, and its impact on the Call to Allah Almighty

Abdelrahman Saleh Aljeeran
Department of Islamic Studies, General Authority for Applied Education and Training, Kuwait
E-mail: as.aljeeran@paaet.edu.kw

Abstract:
This study has dealt with the creativity of the dignified morality that every Muslim should have, which is in the right of propagandists, this is the ethics of leniency. The study has been conducted in five sections, in which I have examined important topics related to the ethics of leniency have dealt with.
These terms include softness, kindness and Benevolence, Besides, the study includes the importance and types of leniencies which include self-leniency, the leniency with Muslims, the leniency of non-Muslims, as well as the areas of leniency, including; nodal, advocacy, legislative, ethical and behavioral leniency.
The study has also dealt with the ethics of leniency in the Holy Quran and the purified Prophet's Sunnah, the gift of the Prophet and his companions in treating the invitees kindly. In its final phase, the study has also dealt with the controls of rehabilitation, which include: leniency without weakness, leniency without indulgence or abuse, and leniency that isn't contradicted with sticking to the Islamic law. The last topic is to discuss some of the effects of being lenient upon the Islamic Dawa, the inviters, and invitees.
This study has contained several important findings, including:
Leniency is one of the most successful methods of advocacy, and it stems from the wise way of calling for Allah. One of the most important controls of welfare; No leniency in religion, no imposition of prohibitions, and without any disruption of anyone.

Keywords: Leniency, Its truth and related words, Leniency in Al-Da'wah, Leniency in the Holy Quran and the Prophet's Sunna, the guidance of the prophet and his companions in being lenient with the invitees.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه وسار على دربه.

أما بعد،،،

فإن الدعوة إلى الله أشرف المهام، وأعظم القربات؛ كيف لا؟ وهي مهمة الأنبياء والمرسلين، وصدق الله القائل في أحكم التنزيل: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}(١).

وللدعوة أساليب يجب أن يعرفها الدعاة، وألا يحيدوا عنها قدر أنملة، لما لها من آثار عظيمة في إنجاح دعوتهم، يأتي أسلوب الرفق في قائمة الأساليب الدعوية، وهو أسلوب إذا ما أُحسِن استخدامه واستثماره فإنه لا شك سيؤتي ثماره.

أولاً : أهمية الموضوع:

لذا كان هذا البحث الذي يلقي مزيدا من الأضواء على أسلوب الرفق، وأهميته في مجال الدعوة، وبيان كيف استخدمه النبي وأصحابه، إضافة إلى أنه أسلوب له ضوابط، وتنتج عنه آثار؛ لا بد لمن يعمل في الحقل الدعوي من معرفتها والاهتداء بها.

ثانياً: أسباب اختياره:

١-الكشف عن هدي النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه في التخلق بخلق الرفق وبخاصة في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

٢-تجلية ضوابط خلق الرفق التي يجب على الدعاة السير وفقها.

٣-بيان آثار تخلق الدعاة بخلق الرفق في دعوتهم

(١) سورة فصلت الآية رقم ٣٣

ثالثاً: إشكالية البحث:

كثيرا ما يصطدم الدعاة إلى الله ببعض المدعوين الذين قد يخرجونهم عن أخلاقهم الدعوية، فيضطر بعض الدعاة إلى معاملتهم بالمثل، والإغلاظ عليهم، من هنا كان لا بد للدعاة من التخلق بخلق الرفق، ومعرفة ضوابطه وآثاره في مجال الدعوة، حتى يدعو على بصيرة وبينة.

رابعاً: تساؤلات الدراسة:

وتتفرع عن هذه المشكلة عدة تساؤلات منها:

١- ما حقيقة خلق الرفق، وما أشهر الألفاظ ذات الصلة به؟

٢- ما أنواع الرفق وما أشهر مجالاته؟

٣- ما هدي النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه في التخلق بخلق الرفق وبخاصة في مجال الدعوة إلى الله تعالى؟

٤- ما ضوابط خلق الرفق التي يجب على الدعاة السير وفقها؟

٥- ما آثار تخلق الدعاة بخلق الرفق في دعوتهم؟

خامساً: أهداف البحث:

١- بيان حقيقة خلق الرفق، وأشهر الألفاظ ذات الصلة به.

٢- إبراز أنواع الرفق وما أشهر مجالاته.

سادساً: منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج: الاستقرائي(١)، والتحليلي(٢)،

(١) المنهج الإستقرائي: هو تتبع الجزئيات -كلها أو بعضها- للوصول إلى حكم عام يشملها جميعاً. د/عوض الله حجازي: المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم، دار الطباعة المحمدية ط ٦ القاهرة ، ص١٨٤.

(٢) المنهج التحليلي : هو تحليل الظواهر إلى عناصرها الولية ، د فريد الأنصاري ، أبجديات البحث في العلوم الشرعية ، ط النجاح ، الدار البضاء ، المغرب ط ١ ١٤١٧هـ ص١٩٣

والاستنباطي(١)، عن طريق استقراء تعريف الرفق والتمييز بينه وبين المفاهيم ذات الصلة به، والكشف عن هدي النبي ﷺ وصحبه في التخلق بخلق الرفق وبخاصة في الدعوة إلى الله تعالى، وصولا إلى استنباط الضوابط التي يجب مراعاتها عند إعمال خلق الرفق في الدعوة إلى الله تعالى، وكذا استنباط أبرز آثار الرفق في الدعوة إلى الله تعالى.

وإني وإن كنت قد استخدمت –في بحثي– هذه المناهج البحثية؛ فإنه لا غنى لي عن المناهج الأخرى.

وقد قمت في سبيل ذلك بالخطوات الآتية:

- تخريج الآيات القرآنية بذكر أسم السورة ورقم الآية .
- تخريج الأحاديث النبوية التي ورد ذكرها في البحث من كتبها المعتمدة.
- توثيق المصادر والمراجع وعزو الأقوال إلى قائليها.
- التعريف بالأعلام والألفاظ الغامضة في البحث .
- تذييل البحث بفهرس المصادر والمراجع.

سابعاً :حدود الدراسة:

موضوع الرفق متشعب جداً في مجالات الحياة كلها لذلك كانت هذه الدراسة مقصورة على مجال واحد هو : مجال الدعوة إلى اللهتعالى ، فكانت بعنوان**[الرفق حقيقته وأنواعه وضوابطه وأثره في الدعوة إلى الله تعالى]**

ثامناً :الدراسات السابقة:

من أبرز الدراسات السابقة في موضوع الرفق في الدعوة، وأوجه الإتفاق والاختلاف بين هذه الدارسة والدراسات السابقة:

(١) المنهج الإستنباطي / وهو منهج يبدأ من قضايا مسلمةإلى قضايا أخى تنتج عنها للضرورة دون إلتجاء إلى التجربة، د/ عبد الرحمن بدوي ، مناهج البحث العلمي ، وكالة المطبوعات الكويت ط٣ ١٩٧٧م ص٨٢.

١- الرفق في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، وفاء الماجد، ماجستير، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٣٤هـ.

يتناول هذا البحث موضوع الرفق من خلال نصوص الكتاب والسنة ويتفق بحثي معه في ذلك ، لكن بحث يتجاوز ذلك ليكشف عن نتائج التحلي بالرفق في الدعوة إلى الله على الداعي والمدعوّ.

٢- مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة – مفهوم، ونظر، وتطبيق، سعيد بن علي القحطاني الرياض، مطبعة سفير، د.ط، د.ت، ص: ١٦٦.، مكة، رابطة العالم الإسلامي، سلسة دعوة الحق (كتاب شهري محكّم) – السنة ٢٤، العدد ٢٣٧، عام ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

بعد الإطلاع على هذه الدراسة القيمة وجدت أنها أشارت إلى جزئية من جزيئات موضوع الرفق بصفة عامة . لكن هذا البحث يتناول الرفق بصفة أشمل وأعمق .

٣- الرفق وأثره في الدعوة إلى الله، نورة بنت عبد اللطيف فرج، ماجستير، كلية أصول الدين والدعوة، مكة، جامعة أم القرى، ١٤٣٠هـ.

هذه الدراسة رغم أهميتها إلا أني أحسب أنها لا تفي بالأغراض الدعوية للرفق ويمكن اعتبارها مرجعاً من مراجع البحث.

وتتميز دراستي بأنها استفادت من الدراسات السابقة وأضافت إليها ما يتصل بمفهوم الرفق، وبأنها قد قدمت منهجاً متكاملاً في استخدام الرفق بوصفه أسلوبًا للدعاة خاصة.

تاسعاً :خطة البحث:

انتظم البحث في مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة، وذلك على النحو التالي:

المقدمـــة: واشـتملت علـى الحـديث عـن مشـكلة البحـث وأهدافـه ومنهجـه ودراساته السابقة وخطته.

المبحث الأول: الرفق حقيقته والألفاظ ذات الصلة به

المبحث الثاني: الرفق في الدعوة أهميته وأنواعه ومجالاته

المبحث الثالث: التأصيل الدعوي للرفق في الدعوة إلى الله تعالى

المبحث الرابع: التطبيقات الدعوية للرفق في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء المنهج النبوي.

المبحـث الخـامس: الضـوابط الدعويـة لأسـلوب الرفـق فـي الـدعوة إلـى الله تعالى .

المبحث السادس :الآثار الدعوية لأسلوب الرفق في الدعوة إلى الله تعالى وينقسم إلى عدة مطالب كما يلي :

المطلب الأول : أثر الرفق في الدعوة إلى الله على المدعو إليه .

المطلب الثاني: أثر الرفق في الدعوة إلى الله تعالى على المدعو .

المطلب الثالث: أثر الرفق في الدعوة إلى الله تعالى على الداعية .

الخاتمة:

المبحث الأول:

الرفق حقيقته والألفاظ ذات الصلة به

أولاً: تعريف الرفق في اللغة والاصطلاح

١- تعريف الرفق في اللغة

بالرجوع إلى كتب متن اللغة ومعاجمها؛ يتبين دلالة مادة (ر ف ق) على اللين والسهولة وكل ما هو خلاف العنف. وفيها جاء: «"الرَّاءُ وَالْفَاءُ وَالْقَافُ" أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُوَافَقَةٍ وَمُقَارَبَةٍ بِلَا عُنْفٍ؛ فَالرِّفْقُ: : لِينُ الْجَانِبِ، خِلَافُ الْعُنْفِ. يقال: هُوَ بِهِ رَفِيق: لَطِيف. وماء رَفَقٌ، ومرعى رفق: سهل المطلب».(١)

ومما سبق عرضه -لمعاني الرفق في اللغة- يتضح أنه يدور حول عدة معان؛ منها: اللطف، والنفع، ولين الجانب، والتوسط واللطافة في الأمر، وسهولة المطلب.

فيرادف الرفق كل كلمة تدل على الموافقة والمقاربة بلا عنف ، وهذا المراد من المعاني اللغوية للرفق.

---

(١) ابن فارس القزويني، (المتوفى: ٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (٤١٨/٢). (باب الراء والفاء وما يتلتهما). نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، (بيروت - لبنان)، دار الفكر المعاصر،(دمشق - سورية)، دار الفكر ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م (٢٥٦٩/٤) مادة (ر ف ق).

٢- تعريف الرفق في الاصطلاح

من خلال أقوال العلماء الأثبات يتبين لنا سعة معنى الرفق فهو: "لِينُ الْجَانِبِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَالْأَخْذِ بِالْأَسْهَلِ. التَّوَسُّط واللطافة فِي الْأَمر، وَهُوَ ضد العنف".(١)

ويشرح حجة الإسلام الغزالي(٢) حقيقة الرفق فيقول: " اعْلَمْ أَنَّ الرِّفْقَ مَحْمُودٌ، وَيُضَادُّهُ الْعُنْفُ وَالْحِدَّةُ، وَالْعُنْفُ؛ نَتِيجَةُ الْغَضَبِ وَالْفَظَاظَةِ، وَالرِّفْقُ وَاللِّينُ؛ نَتِيجَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ وَالسَّلَامَةِ، وَلَا يَحْسُنُ الْخُلُقُ إِلَّا بِضَبْطِ قُوَّةِ الْغَضَبِ وَحِفْظِهَا عَلَى حَدِّ الِاعْتِدَالِ".(٣)

ومما سبق عرضه لتعريف الرفق في الاصطلاح؛ يتضح سعة معنى الرفق، حتى أنه يرادف الحكمة، وذلك أن من معالم أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى: هو الرفق واللين مع المدعو، والرفق يكون في القول وفي الفعل، وهو نتيجة التحلي بالأخلاق الكريمة.

ثانياً: تعريف بعض الألفاظ ذات الصلة بالرفق

هناك عدة ألفاظ مترادفة لمعنى الرفق، وتكاد تكون متقاربة، إتماماً للفائدة؛ سنتعرض لشرح معانيها في السطور التالية، وهذه الألفاظ: اللين، المداراة، اللطف.

---

(١) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، د.ط، ١٣٧٩ هـ، (٤٤٩/١٠). الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، كتاب الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، (٤٨٢/١).

(٢) هو الغزالي، محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ)، الشيخ الإمام البحر ، حجة الإسلام ، أعجوبة الزمان زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ، الشافعي ، الغزالي ، صاحب التصانيف ، والذكاء المفرط [انظر: سير أعلام النبلاء شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ص٣٢٣].

(٣) المرجع السابق، (٢١٢/١).

١- تعريف اللِّين

ومما جاء في معاجم اللغة في معنى "اللين": قول بعض اللغويين: «"اللَّامُ وَالْيَاءُ وَالنُّونُ" كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ اللِّينُ: ضِدُّ الْخُشُونَةِ. وَيُقَالُ: هُوَ فِي لَيَانٍ مِنْ عَيْشٍ، أَيْ نِعْمَةٍ، وَفُلَانٌ مَلْيَنَةٌ، أَيْ لَيِّنُ الْجَانِبِ».(١)

واللّين في الاصطلاح: " هو سهولة الانقياد للحقّ، والتلطّف في معاملة النّاس وعند التّحدّث إليهم."(٢)

اللين: القريب من الناس بمجالستهم في محافل الطاعة وملاطفتهم قدر الطاعة، السهل في قضاء حوائجهم. وقيل: معناه أنه سمح القضاء سمح الاقتضاء، سمح البيع سمح الشراء؛ على ما ورد في فضل المؤمن الكامل.(٣)

٢- تعريف المداراة

تعريف المداراة في اللغة:

جاء عن أئمة اللغة في معنى المداراة في اللغة: «مُدَارَاةُ الناسِ أَي مُلايَنَتُهُم وحُسنُ صُحْبَتِهِم واحْتِمالُهُم؛ لئَلاَّ يَنْفِروا عَنْكَ، ودَارَيت الرجلَ: لايَنْته ورَفَقْت به».(٤)

(١) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، (٢٢٥/٥). مادة (ل ي ن).

(٢) السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت ط (١) ١٤١٧هـ. ٦١/٤.

(٣) علي الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ): مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، ٣١٧٩/٨.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ (٢٥٤/١٤). مادة (د ر ى)

تعريف المداراة في الاصطلاح:

ويعرف الرفق في اصطلاح العلماء بأنه: "الدفع برفق".[١].

هذا، وثمت فارق بين المداراة والمداهنة، قد يختلط الخلقان على بعض الناس، غير أن أهل الذكر قد بيّن ما بين المداراة والمداهنة من فروق، فقال: "المداراة صفة مدح والمداهنة صفة ذمّ وَالْفرق بَينهمَا أَن المدارى يتلطف بِصَاحِبِهِ حَتَّى يسْتَخْرج مِنْهُ الْحق أَو يردهُ عَن الْبَاطِل، والمداهن يتلطف بِهِ ليقره على باطله ويتركه على هَوَاهُ فالمداراة لأهل الْإِيمَان والمداهنة لأهل النِّفَاق".[٢]

ثالثاً: تعريف اللطف

أشار بعض أئمة اللغة إلى الأصل اللغوي للطف، ومما جاء عنهم: «"اللَّامُ وَالطَّاءُ وَالْفَاءُ" أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى رِفْقٍ، وَيَدُلُّ عَلَى صِغَرٍ فِي الشَّيْءِ. فَاللُّطْفُ: الرِّفْقُ فِي الْعَمَلِ: يُقَالُ: هُوَ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ، أَيْ رَءُوفٌ رَفِيقٌ. وَمِنَ الْبَابِ الْإِلْطَافُ لِلْبَعِيرِ، إِذَا لَمْ يَهْتَدِ لِمَوْضِعِ الضِّرَابِ فَأُلْطِفَ لَهُ».[٣]

واللطف في الاصطلاح: «سلوك طريق توصل إلى المطلوب»[٤].

وبعد عرض لمعنى: (الرفق – اللطف – اللين – المداراة)؛ نلاحظ تقارب معنى هذه الألفاظ، والتقائها، حتى لكأنها تكاد تترادف، بحيث يصح أن يحل أحدها محل الآخر.

---

(١) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٥٢٨/١٠).

(٢) ابن قيم الجوزية: الروح، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، ١٣٩٥ – ١٩٧٥، (٢٣١/١).

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (٢٥٠/٥). مادة (ل ط ف).

(٤) الأمير الصنعائي/ إجابة السائل شرح بغية الأمل ، تحقيق حسين السباعي و حسن الأهدل ، الرسالة بيروت ط(١) ١٩٨٦م ص٢١

المبحث الثاني

الرفق في الدعوة أهميته وأنواعه ومجالاته

يعتبر الرفق من أهم الصفات التي ينبغي للمسلم أن يتحلى بها، وهي آكدة للداعية؛ فالداعية الذي يتحلى بهذا الخلق؛ يكتب الله تعالى لدعوته النجاح، والرفق ليس بالآخرين فحسب، بل هناك رفق بالنفس، والرفق ليس بالمسلم فقط؛ بل يتعدى لغيره من غير المسلمين، وهذا ما سنوضحه في السطور التالية، مع شرح بعض مجالات الرفق. وسنقتصر على ثلاثة جوانب مهمة، وهي:

الرفق في المجال العقدي والدعوي – الرفق في المجال التشريعي – والرفق في المجال الأخلاقي والسلوكي.

أولاً: أهمية الرفق

إن حسن الخلق متعدد الأوجه والمعاني، غير أن صفة الرفق جامعة المكارم والأخلاق، ضابطة لحسن السلوك، ومن أفضل مظاهر التعامل مع الآخرين وأبهاها، خصوصاً في الدعوة إلى الله تعالى ، فهي تقرب ولا تنفر، وتحبب ولا تبغض، وتيسر ولا تعسر؛ لذلك ينبغي على الداعية إلى الله تعالى التحلي بالرفق واللين عند إيضاح الحق، فهو سبب لهداية الخلق، وبلوغ القصد من الدعوة.(١)

إن للرفق أهمية كبيرة، خصوصاً فيما يتعلق بالدعوة إلى الله، منها:

- إن الرفق صفة من صفات الله عز وجل، وهذا مدح للرفق في أعلى صوره، فهو سبحانه رؤوف بعباده، رحيم بهم، رفيق في أمره ونهيه.
- محبة الله تعالى للرفق وأهله ممن ترفق منهم في جميع أموره وأحواله، وما يترتب على هذه المحبة من أجر ومنفعة في الدنيا والآخرة، فهي من

(١) الماجد، وفاء، الرفق في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، ماجستير، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٣٤هـ، ص: ٢١. ، ص: ٣٦.

الصفات التي يحبها الله سبحانه ويرضاها، ويحث على التخلق بهما، ويعطي عليها من الأجر ما لا يعطي على ما سواه، وهذه دلالة عظيمة على أهمية الرفق.

- إن الرفق زينة للأمور، وفقده يبعدها عن الحق والصواب، فالتحلي بهذا الخلق العظيم يعود على المسلم بالنفع في الدنيا والآخرة.
- إن التحلي بالرفق يعصم الداعية من اتخاذ القرارات الخاطئة أو التصرفات السريعة، التي تكون في ساعة غضب أو عدم تركيز، فتفسد أكثر من أن تصلح، فيبتعد الداعية عن تحقيق الهدف الأساسي من الدعوة.
- من الأمور المهمة للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يبلغ العلم الصحيح برفق وتأنٍّ، يصاحبه حلم، فالدعوة إلى الله تعالى لا تكون إلا بعلم ورفق وصبر.[1]

ثانياً: أنواع الرفق

إن الرفق لا يقتصر على الآخرين من المسلمين فقط؛ بل إن الرفق يتعدى إلى أنواع أخرى، فالرفق بالنفس من أهم أنواع الرفق؛ فالإنسان بطبيعته وفطرته يحاول أن ينجو بنفسه، ويتحلى بما ينفعه في الدنيا وينجيه في الآخرة، وكذلك هناك نوع من الرفق وخاصة للداعية؛ وهو الرفق بغيره من غير المسلمين، فالداعية يحتاج إليه في دعوته، وفي السطور التالية سنحاول الحديث عن هذه الأنواع بإيجاز.

١- الرفق مع النفس

الإسلام دين الرحمة، ومن أعظم مظاهر رحمته أنه حَرَّمَ على المسلم أن يُعَذِّب أحدًا حتى نفسه، حتى لو كان هذا التعذيب في مجال العبادة؛ فالله

(١) الماجد، وفاء، الرفق في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، ص: ٣٨- ٤٠ بتصرف.

عز وجل لا يرضى عن تحميل المسلم لنفسه مشقَّة فوق طاقته؛ قال تعالى: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ}(١)؛ لذلك كان من سُنَّة الرسول صلى الله عليه وسلم أنه يأمر المسلمين أن يترفَّقوا بأنفسهم؛ فقد رُوي " عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: " بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ، إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ، نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلاَ يَقْعُدَ، وَلاَ يَسْتَظِلَّ، وَلاَ يَتَكَلَّمَ، وَيَصُومَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ، وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ" (٢)

والنبي ﷺ هو الرفيق والشفيق على أمته، ومن رحمته ﷺ، أنه زار أحد صحابته، وكان مريضاً، فوجده قد ضعف جسمه، حتى صار مثل الفرخ من شدة ضعفه، فأمره النبي ﷺ أن يرفق بنفسه؛ فعن أنس بن مالك– رضي الله عنه–: " أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، عَادَ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ– ضعف جسده – فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: سُبْحَانَ اللهِ لاَ تُطِيقُهُ –أَوْ لاَ تَسْتَطِيعُهُ– أَفَلاَ قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».قَالَ: فَدَعَا اللهَ لَهُ فَشَفَاهُ". (٣)

فتدبر كيف هو رفق النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الصحابي، بل هو أرفق عليه من نفسه؛ إذ نبهه على أن يسأل الله الرحمة في الدنيا والآخرة، بدل أن يطلب تعجيل العقوبة في الدنيا.

---

(١) سورة النساء الآية رقم ١٤٧

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية، برقم: ٦٣٢٦ ج ٨ ص١٤٣.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى وحسن الظن به، برقم: ٢٦٨٨ ج ٤ ص ٢٠٦٩.

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ: " أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى شَيْخًا يُهَادَى بَيْنَ ابْنَيْهِ، قَالَ: مَا بَالُ هذَا قَالُوا: نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ؛ قَالَ: إِنَّ اللهَ عَنْ تَعْذِيبِ هذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ؛ وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ ". (١)

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تُشدِّدوا على أنفسكم فَيُشَدَّدَ عليكم، فإنَّ قومًا شدَّدُوا على أنفسهم، فشُدِّدَ عليْهِم، فتلْك بقاياهم في الصَّوامِعِ والدِّيار، رَهْبانِيَّةً ابتَدَعوها ما كتبناها عليهم" (٢)

ومعنى الحديث:

"لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، بِإِيجَابِ الْعِبَادَاتِ الشَّاقَّةِ عَلَى سَبِيلِ النَّذْرِ أَوِ الْيَمِينِ، فَيُشَدِّدَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَيُوجِبَ عَلَيْكُمْ بِإِيجَابِكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَتَضْعُفُوا عَنِ الْقِيَامِ بِحَقِّهِ وَتَمَلُّوا وَتَكْسَلُوا وَتَتْرُكُوا الْعَمَلَ فَتَقَعُوا فِي عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى." (٣)

ليتبين لنا كيف "نهى النبي ﷺ عن التشديد في الدين وذلك بالزيادة على المشروع وأخبر أن تشديد العبد على نفسه هو السبب لتشديد الله عليه إما بالقدر وإما بالشرع، فالتشديد بالشرع: كما يشدد على نفسه بالنذر الثقيل فيلزمه الوفاء به وبالقدر كفعل أهل الوسواس فإنهم شددوا على أنفسهم فشدد عليهم القدر حتى استحكم ذلك وصار صفة لازمة لهم. " (٤)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب من نذر المشي إلى الكعبة، برقم: ١٧٦٦ ج ٢ ص٦٦٠، صحيح مسلم، كتاب النذر، باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة، برقم ١٦٤٢.ج ٣ ص١٢٦٤

(٢) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الأدب (٣٥)، باب في الحسد (٥٢)، الحديث (٤٩٠٤)، ج ٤ ص ٢٧٦. وقال محققه شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٣) أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ): مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، (٢٦٦/١).

(٤) ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار المعرفة، ط٢، ١٣٩٥ - ١٩٧٥م، (١٣٢/١).

١-الرفق مع المسلم

من أنواع الرفق؛ الرفق مع المسلم، فقد أمرنا الله تعالى أن نحسن إلى الآخرين، وخاصة إذا كانوا مسلمين، فهم إخوتنا في العقيدة، وقد ضرب لنا الرسول ﷺ المثل الأعلى في حسن التعامل والرفق بهم، والصبر عليهم، وقبول خطأهم وعذرهم، والأمثلة في سنة النبي ﷺ كثيرة؛ منها:

قصة سلمة بن صخر الذي جامع زوجته في نهار رمضان، وجاء ليستفتي رسول الله ﷺ ونترك الحديث له؛ وهو يتحدث عن رفق النبي ﷺ به فيقول: " فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ عَلَى قَوْمِي فَأَخْبَرْتُهُمْ خَبَرِي فَقُلْتُ: انْطَلِقُوا مَعِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأُخْبِرَهُ بِأَمْرِي، فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعَلُ، نَتَخَوَّفُ أَنْ يَنْزِلَ فِينَا قُرْآنٌ أَوْ يَقُولَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَةً يَبْقَى عَلَيْنَا عَارُهَا، وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ. قَالَ: فَخَرَجْتُ فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي، فَقَالَ: «أَنْتَ بِذَاكَ؟» قُلْتُ: أَنَا بِذَاكَ. قَالَ: «أَنْتَ بِذَاكَ؟» قُلْتُ: أَنَا بِذَاكَ. قَالَ: «أَنْتَ بِذَاكَ؟» قُلْتُ: أَنَا بِذَاكَ، وَهَا أَنَا ذَا فَأَمْضِ فِيَّ حُكْمَ اللَّهِ فَإِنِّي صَابِرٌ لِذَلِكَ. قَالَ: «أَعْتِقْ رَقَبَةً». قَالَ: فَضَرَبْتُ صَفْحَةَ عُنُقِي بِيَدِي، فَقُلْتُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أَصْبَحْتُ أَمْلِكُ غَيْرَهَا. قَالَ: «فَصُمْ شَهْرَيْنِ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي إِلَّا فِي الصِّيَامِ. قَالَ: «فَأَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا»: قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَقَدْ بِتْنَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ وَحْشَى، مَا لَنَا عَشَاءٌ. قَالَ: «اذْهَبْ إِلَى صَاحِبِ صَدَقَةِ بَنِي زُرَيْقٍ، فَقُلْ لَهُ فَلْيَدْفَعْهَا إِلَيْكَ فَأَطْعِمْ عَنْكَ مِنْهَا وَسْقًا سِتِّينَ مِسْكِينًا، ثُمَّ اسْتَعِنْ بِسَائِرِهِ عَلَيْكَ وَعَلَى عِيَالِكَ» قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى قَوْمِي، فَقُلْتُ: وَجَدْتُ عِنْدَكُمُ الضِّيقَ وَسُوءَ الرَّأْيِ، وَوَجَدْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ السَّعَةَ وَالبَرَكَةَ، أَمَرَ لِي بِصَدَقَتِكُمْ فَادْفَعُوهَا إِلَيَّ فَدَفَعُوهَا إِلَيَّ".(١)

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة المجادلة، برقم:٣٢٩٩ ج٥ ص ٣٧٨. وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

ويتضح من هذا الحديث شفقة النبي ﷺ وتعامله مع سلمة بن صخر؛ وقد تلبس بمعصية في شهر رمضان؛ فرفق به النبي ﷺ؛ مما جعله مطمئن في كنف رسول الله ﷺ فوجد السعة والبركة والشفقة واللين من رسول الله ﷺ، فقال لقومه: وجدت عندكم الضيق وعند رسول اللهﷺ السعة.

وهذا صحابي آخر وهو– مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّس– يقص علينا صورة حية للرفق واللين والرحمة والشفقة من رسول الله ﷺ، فيقول: " بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ"(١).

ويؤخذ من هذا الحديث:" بَيَانُ مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺمِنْ عَظِيمِ الْخُلُقِ الَّذِي شَهِدَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بِهِ وَرِفْقِهِ بِالْجَاهِلِ وَرَأْفَتِهِ بِأُمَّتِهِ وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهِمْ وَفِيهِ التَّخَلُّقُ بِخُلُقِهِ ﷺ فِي الرِّفْقِ بِالْجَاهِلِ وَحُسْنِ تَعْلِيمِهِ وَاللُّطْفِ بِهِ وَتَقْرِيبِ الصَّوَابِ إِلَى فَهْمِهِ ". (٢)

٢–الرفق مع غير المسلم

لم يشهد التاريخ قائداً كان رحيماً بأعدائه مثل النبيﷺ، وقد بلغت هذه الرحمة مبلغاً عظيماً؛ حتى إنه ﷺ يستمع بنفسه لشكوى الأسير، ويحاوره

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، برقم ٥٣٧. ج ١، ص ٣٨١.

(٢) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ): المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ، (٢٠/٥).

ويتحمله، وهذا موقف يرويه عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ يبين ذلك؛ فيقول: " كَانَتْ ثَقِيفُ حُلَفَاءَ لِبَنِى عُقَيْلٍ فَأَسَرَتْ ثَقِيفُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَسَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلاً مِنْ بَنِى عُقَيْلٍ وَأَصَابُوا مَعَهُ الْعَضْبَاءَ(هُوَ عَلَمٌ لناقة النبيﷺ) فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهْوَ فِي الْوَثَاقِ، قَالَ يَا مُحَمَّدُ. فَأَتَاهُ فَقَالَ « مَا شَأْنُكَ »؟.

فَقَالَ بِمَ أَخَذْتَنِى وَبِمَ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ – أَرَادَ بسابقة الْحَاج نَاقَته كَأَنَّهَا كَانَت تسبق الْحَاج لسرعتها – فَقَالَ إِعْظَامًا لِذَلِكَ: أَخَذْتُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفَ – الجريرة: الجناية– ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَنَادَاهُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَقِيقًا فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ « مَا شَأْنُكَ ». قَالَ إِنِّي مُسْلِمٌ. قَالَ « لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلاَحِ ». ثُمَّ انْصَرَفَ فَنَادَاهُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ. فَأَتَاهُ فَقَالَ: « مَا شَأْنُكَ ». قَالَ إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي وَظَمْآنُ فَأَسْقِنِي. قَالَ: هَذِهِ حَاجَتُكَ)[1]

ويتضح من هذا الحديث رحمة النبي ﷺ وشفقته؛ وذلك لأنه ﷺ كان يرجع إلى الأسير في كل مرة يناديه فيها، وهذا ليس على عادة الملوك، ولكن كان ﷺ رحيما رفيقاً به، ولما شكا الأسير للنبي ﷺ جوعه وعطشه، أحضر له النبيﷺ الطعام والشراب وقال له: هذه حاجتك، وهذا من كمال رفقه وشفقته ﷺ بالأسارى.

ومن كمال رفقه ورحمته بالأسارى ﷺ أنه نهى عن التفريق بين الأسارى إذا كانوا من بيت واحد؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُتِيَ بِالسَّبْيِ، أَعْطَى أَهْلَ الْبَيْتِ جَمِيعًا، كَرَاهِيَةَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ.) [2].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب النذر، باب لاوفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد، برقم: ١٦٤١ج ٣ ص ١٢٦٣

(٢) ابن ماجة، بَابُ النَّهْيِ عَنِ التَّفْرِيقِ بَيْنَ السَّبْيِ ٢٠٠٩ م، ج٣، ص ٣٥٧، برقم: ٢٢٤٨، وقال محققوه: حسن لغيره.

بل إن النبيﷺ كان يتفقد أحوال الأسارى، وينظر إليهم بعين الرحمة ويرق لهم، فقد روى عن أَبَي أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيَّ ﷺ،أنه قَدِمَ بِسَبْيٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَصَفُّوا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ فَإِذَا امْرَأَةٌ تَبْكِي فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكِ؟» فَقَالَتْ: بِيعَ ابْنِي فِي بَنِي عَبْسٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي أُسَيْدٍﷺ:«لَتَرْكَبَنَّ فَلْتَجِيئَنَّ بِهِ» فَرَكِبَ أَبُو أُسَيْدٍ فَجَاءَ بِهِ. (١)

ثالثاً: مجالات الرفق

١-الرفق في المجال العقدي والدعوي

لقد تعددت مجالات الدعوة إلى الله تعالى؛ فكان من أساسها وأهمها المجال العقدي، وهو كل ما يتعلق بالاعتقاد من انحراف عقدي سواء ارتكب حراماً أم ترك واجبا، فجاءت دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم لأقوامهم جميعها عقدية، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}(٢) .

وقال تعالى في كتابه العزيز: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}(٣)؛ فجميع الرسل والأنبياء من سيدنا نوح عليه السلام إلى محمدﷺ، قالوا: (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)، وقد اتسمت دعوتهم جميعا باللين والسماحة والرفق، استجابة لله تعالى، وكسباً لقلوب من حولهم، وشفقة عليهم من العذاب؛ إذ إن المقصود

(١) المستدرك، الحاكم، ٥٩١/٣، برقم (٦١٩٣) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وتعقبه الذهبي بقوله: "مرسل". أخرجه البيهقي في سُننه (١٢٦/٩) في السير، باب التفريق بين المرأة وولدها، من طريق الحاكم، به مثله. ثم قال البيهقي عقب الحديث: "هذا وإن كان فيه إرسال، فهو مرسل حسن.

(٢) سورة الأنبياء الآية رقم ٢٥

(٣) سورة النحل الآية رقم ٣٦

من دعوتهم للخلق حصول الاهتداء، لا إظهار العظمة وغلظة القول فينفر الخلق منهم، فالخلق مجبولون على حب من أحسن إليهم، ولهذا فجميع الأنبياء نادوا أقوامهم (يا قوم) استلطافاً لهم، ورغبة في كسب قلوبهم وميلها للحق.

فهذا سيدنا هود –عليه السلام– يستلطف قومه، ويتحبب لهم، ويلين القول معهم؛ شفقة بهم، وطمعاً في رجوعهم للحق، قال تعالى: {وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ}(١)

وسيدنا صالح –عليه السلام– أرسل إلى قوم يعبدون الأصنام والأوثان، فما كان منه– عليه السلام – إلا دعوتهم لعبادة الله وحده وترك عبادة غيره، ملتزما بما أمره الله به من الرفق واللين بقومه، رحمة بهم وخشية عليهم، قال تعالى: {وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ}(٢)

وكذلك سيدنا شعيب–عليه السلام–، دعا قومه بالرفق والدين، وذكرهم خوفه وخشيته عليهم من عذاب الله عز وجل لهم، قال تعالى: {وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ}(٣)

وسيدنا نوح – عليه السلام – سلك في دعوته لقومه مسلك الرفق واللين، قال تعالى: {أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ}(٤)

(١) سورة الأعراف الآية رقم ٦٥
(٢) سورة هود الآية رقم ٦١
(٣) سورة هود الآية رقم ٨٤
(٤) سورة نوح الآية رقم ٣

سيدنا إبراهيم الله –عليه السلام– لأبيه وقومه، فقد كان ينادي أباه بكل رفق ولين وتودد؛ شفقة عليه، ورغبة في توبته ورجوعه للحق، قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا* يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} (١)

فعلى الرغم مما كان عليه آزر من شرك بالله وعبادة للأوثان إلا أن سيدنا إبراهيم عليه السلام استعمل أرق الكلمات، وأسمى العبارات مع والده، فقد بدأ عليه السلام بتصحيح العقيدة، وتوحيد الله تعالى والنهي عن الشرك به، ملتزما في دعوته بالرفق واللين، مبتعداً عن الغلظة والشدة، على الرغم مما لاقاه من الظلم والعذاب، إلا أنه أبى إلا التخلق بالرفق معهم، والخوف عليهم من العذاب. وعلى الرغم مما كان عليه الطاغية فرعون من فساد للعقيدة، وكفر بالله وادعاء للربوبية، إلا أن الله عز وجل أمر سيدنا موسى وسيدنا هارون عليهما السلام بدعوته باللين في القول، قال تعالى: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}(٢)

ولنا في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة والمثل الأعلى في رفقه وسماحته مع قومه، فقد دعاهم ونهاهم بكل يسر وسهولة، وتدرج في تعليمهم تعاليم الدين، وكان يجيب عن استفساراتهم بلين وسماحة من غير غلظة ولا شدة.

(فعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "

(١) سورة مريم الآية رقم ٤١– ٤٥

(٢) سورة طه الآية رقم ٤٤

سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}[١] وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ")[٢].

فلم يغلظ عليهم أو يعنفهم مع أن سؤالهم له يمس العقيدة الإسلامية، لكنه ﷺ اتسم بالرفق معهم وإيصال ما يريد من دون زجر وتعنيف أو تنفير. فالحرص على هداية الناس يقترن دائماً بالرفق بهم واللين معهم قولاً وعملاً، وهذا ما نهجه الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، كما أمر الله سبحانه نبيه محمد ﷺ أن يتخذ من الأنبياء قدوة له في دعوته، قال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}[٣]، فكان خير المقتدين، وعن من بعده عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم".[٤]

١-الرفق في المجال التشريعي

من خصائص التشريع الإسلامي الحنيف الرفق واللين مع جميع الناس وعدم تركهم للحرج والضيق والمشقة، وهذا يظهر جلياً في بعض آيات القرآن الكريم، وفي أحاديث النبي ﷺ يقول الله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [٥].

ويقول سبحانه: {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُم}. [٦]

ويقول تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [٧].

---

(١) سورة الأعراف الآية رقم ١٣٨

(٢) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم (٧٥/٤) رقم (٢١٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) سورة الأنعام الآية رقم ٩٠

(٤) الماجد، الرفق في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، ص: ٨٠-٨١.

(٥) سورة البقرة الآية رقم ١٨٥.

(٦) سورة النساء الآية رقم ٢٨

(٧) سورة الحج الآية رقم ٧٨

يقول بعض المفسرين في تأويل هذه الآية:

" لقد تعددت الأقوال التي يرويها المفسرون عن أهل التأويل في مدى هذه الجملة؛ منها أنها بمعنى أنه ما من ذنب يذنبه المسلمون إلّا جعل الله لهم منه مخرجا من توبة أو كفّارة.

ومنها أن ذلك في هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحجّ إذا التبس عليهم وأمثال ذلك. أن الله قد جعل الدين واسعا ولم يجعله ضيّقا بصورة عامة، ومنها ما جعله الله من رخص للمسلمين في العبادات وغيرها عند الضرورات.

ومنها إيذان بأن الله قد رفع عنهم ما وضعه على بني إسرائيل من تكاليف فيها مشقّة وحرج. والجملة تتحمّل كلّ هذه الأقوال حيث يبدو بذلك ما لها من خطورة بالغة تستدعي التنويه من حيث إنها تتضمّن تقرير كون الله عزّ وجلّ قد يسّر على المسلمين الأمور فلم يحملهم في دينهم ما لا يطيقون ولم يجعل عليهم فيه إعناتا وشدّة وجعل لهم فيه لكلّ ضيق فرجا ولكلّ عسر يسرا. وهذا المعنى قد تكرر في سور عديدة بحيث يصحّ أن يقال: إنه مما امتازت به الشريعة الإسلامية عمّا قبلها." [١]

وفي الحديث: (يَسِّرُوا وَلاَ تعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا)[٢]

و حديث عَائِشَة، أَنَّهَا قَالَتْ: مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، لِنَفْسِهِ، إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ فَيَنْتَقِمَ للهِ بِهَا [٣]

---

(١) دروزة، محمد عزت، التفسير الحديث، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، ١٣٨٣هـ، (٨٣/٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، برقم: ٥٧٧٤. ٢٥/١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ ، برقم: ٣٣٦٧. ١٨٩/٤.

وحديث أبي هريرة – س– (أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ).(١)

وهذا واضح في العبادات من صلاة وصوم وحج، وكذلك في المعاملات فإنها مبنية على الرفق والتيسير على الناس.

١-الرفق في مجال الأخلاق والسلوك

من مجالات الرفق المهمة؛ مجال الأخلاق والسلوك، فالأخلاق المحمودة والسلوكيات الكريمة؛ لها أثر عظيم في الدعوة إلى الله تعالى، لذلك نجد نبينا ﷺ وهو القدوة الحسنة يضرب المثل الأعلى في ذلك، حتى تأثر بخلقه وسلوكه المشركون، ففي الحديث:

(مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ)(٢)

وعن أبي هريرة – س– قال: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ:

«مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى كَانَ مِنَ الْغَدِ،

(١) صحيح البخاري، باب الوضوء، بَاب صَبِّ الْمَاءِ عَلَى الْبَوْلِ فِي الْمَسْجِدِ، برقم: ٢١٧. ١/٥٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، بَابُ مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ لَا وَكَثْرَةُ عَطَائِهِ، (٢٣١٢). ٤/١٨٠٦.

فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ»، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ ﷺ:

وَاللهِ، مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللهِ، مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللهِ، مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: أَصَبَوْتَ، فَقَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا وَاللهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ) [1]

فتدبر كيف أن الرفق قد أتى بثمار لا يؤت بها غيره؛ إذ نتج عنه إسلام رجل «غاظ بإسلامه كفار قريش، فإن ثمامة كان عظيمًا في قومه وغيرهم، ولذلك لما قدم مكة أظهر إسلامه، ولم يبال بهم، بل أخبرهم بما ناقضهم به، وأغاظهم؛ وهو قوله: (والله! لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله–صلى الله عليه وسلم».[2]

(١) صحيح البخاري، ١٤٢٢هـ، كتاب أبواب المساجد، باب الاغتسال إذا أسلم وربط الأسير أيضاً في المسجد، برقم: ٤٥٠، ١٧٠/٥. صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه، برقم: ١٧٧٤. ١٣٨٦/٣.

(٢) أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي المتوفى (٥٧٨ – ٦٥٦ هـ)/ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو – أحمد محمد السيد – يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال الناشر: (دار ابن كثير، دمشق – بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت) الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م (٣/ ٥٨٤، ٥٨٥).

ورفق الأخلاق والسلوك يؤتي ثماره أعظم ما يؤتى مع رجال كثمامة؛ صبورًا كريمًا شجاعًا، لم يرض أن يعلن إسلامه تحت ضغط وتخويف، «فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم كرم ثمامة، وصبره على الأسر صبرًا، لم يضعف عند تخويف القتل وذهاب المال، واستمر على ذلك يومًا، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مثل هذه لَنفس تأتي على الجميل والإحسان خلاف ما يأتي على العنف والشدة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإطلاقه من غير فداء ولا مَنٍّ؛ فلما أطلق عنه الأسر من يديه ورجليه، نقل الصنيعة غلا في عنقه، فأقر بإسلامه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن اقتناء ثمامة أفضل من اقتناء المال؛ فإن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رأى أن اقتناء ثمامة خير من أن يأخذ ماله».[١]

ولا يظن ظانّ أن في الحديث ما يبدي خلاف الرفق؛ إذا ما تعجل القارئ فحسب أن ثمامة قد رُبط بأمر النبي صلى الله عليه وسلم؛ فالحق «أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يربطه، ولا أمر بربطه، بل قال حين رآه مربوطًا: "أطلقوا ثُمامة" فهو إنكار لفعلهم أولى بأن يكون إقرارًا لفعلهم، بخلاف قصة العفريت، فإنه – عليه السلام – هو الذي هم بربطه».[٢]

(١) يحيى بن هُبَيْرَة الشيبانيّ (المتوفى: ٥٦٠هـ): الإفصاح عن معاني الصحاح، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد الناشر: دار الوطن سنة النشر: ١٤١٧هـ (٦/ ٢٨٢، ٢٨٣).

(٢) بدر الدين المعروف بالدماميني، وبابن الدماميني (المتوفى: ٨٢٧ هـ): مصابيح الجامع: محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب الناشر: دار النوادر، سوريا الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م (٢/ ١٥٩، ١٦٠).

المبحث الثالث:

التأصيل الدعوي للرفق في الدعوة إلى الله تعالى

حث الإسلام على الرفق ورغب في التحلي به، وتعددت آيات القرآن الكريم في فضل الرفق واللين والرحمة والشفقة، وكذلك وردت في السنة النبوية أحاديث كثيرة تبين فضائل الرفق واللين، وتدعو المسلمين إلى التخلق بهذا الخلق الكريم، وفي السطور التالية نتعرض لبعض الآيات والأحاديث التي وردت في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية المطهرة.

أولاً: الرفق في القرآن الكريم

وردت كلمة الرفق وما يرادفها من كلمات؛ في القرآن الكريم؛ في أكثر من موضع، وفي السطور التالية سنتعرض لبعض هذه المواضع بالشرح والتفصيل.

الرفق في الدعوة إلى الله تعالى ومنهج سبيل الدعاة

- قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}(١).

ومعنى هذه الآية: " خطاب للنبي ﷺ إثر خطاب المؤمنين، فبرحمته- تعالى- وهدايته كنت سهلا في معاملتهم، لينا في إرشادهم وهدايتهم وقبول عذرهم، فيما فرط منهم. وهكذا كان الرسول مثلا أعلى للرئيس الحكيم والزعيم الموفق. ولو كنت (لا قدر الله) سيّئ الخلق، ضيق العقل، فظا جافى القلب، غليظ الكبد ما اجتمعوا حولك، وما تعلقت قلوبهم بك وكيف هذا؟ وقد أرسلت رحمة للعالمين وشهد لك القرآن {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١٥٩

(١). وإذا كنت- يا رسول الله- بهذا الوصف فاعف عنهم، وتجاوز عما يبدر منهم واطلب لهم المغفرة من الله إنه هو الغفور الرحيم، وشاورهم في أمور الدولة ونظام الجماعة في الحرب والسياسة والاقتصاد والاجتماع أَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ." (٢)

الرفق في الدعوة إلى الله تعالى ومنهج نبي الله موسى وهارون عليهم السلام

- قال تعالى: { فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ}(٣)

ومما جاء حول معنى هذه الآية: "فهذا شأن الحكماء مع الجهلاء، وموقف الأطباء من المرضى.. اللين واللطف، والموادعة..

فإن لقاء السفاهة بالسفاهة، والجهل بالجهل، هو نفخ فى النار الموقدة، وإمداد لها بالوقود، الذي يزيدها اشتعالا وتأججا." (٤)

الرفق في الدعوة إلى الله تعالى هو المنهج العام في دعوة الناس جميعاً

- قال تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً}(٥) .

ومن معاني هذه الآية: "قولوا لهم الطيب من القول، وجازوهم بأحسن ما تحبون أن تجازوا به. وهذا كله حض على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس لينا ووجهه منبسطا طلقا مع البر والفاجر، والسني والمبتدع، من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه

---

(١) سورة القلم الآية رقم ٤٢

(٢) محمد محمود الحجازي: التفسير الواضح، بيروت، دار الجيل الجديد، ط١٠، ١٤١٣ هـ (٣٠٠/١).

(٣) سورة طه الآية رقم ٤٤

(٤) عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، التفسير القرآني للقرآن، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت (٧٩٤/٨).

(٥) سورة البقرة من الآية رقم ٨٣

يرضي مذهبه، لأن الله تعالى قال لموسى وهارون: {فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً} [١].

فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه." [٢]

- وقوله تعالى: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [٣].

أمر من الله تعالى لرسوله أن يأمر عباده المؤمنين بأن يحاجوا مخالفيهم، ويجادلوهم باللين، ولا يغلظوا لهم في القول، ولا يشتموهم ولا يسبوهم، فإن الكلمة الطيبة تجذب النفوس، وتميل بها إلى الاقتناع، كما يعلم ذلك الذين تولوا النصح والإرشاد، من الوعاظ والساسة والزعماء في كل أمة.[٤]

كذلك أمر الله سبحانه وتعالى بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، فقال سبحانه: { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} [٥].

ففي هذه الآية " ينهى القرآن الكريم أمة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجادلوا أهل الكتاب (اليهود والنصارى) إلّا بالطريقة الحسنة، وبالأسلوب الأحسن، فإنهم قوم يؤمنون بوجود الله واليوم الآخر، ويصدّقون بما أنزل على سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما السّلام من الكتب السماوية، فكانوا

---

(١) سورة طه الآية رقم ٤٤

(٢) شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، المملكة العربية السعودية دار عالم الكتب، ط١٤٢٣ هـ/٢٠٠٣ م، (١٢/٢).

(٣) سورة الإسراء من الآية رقم ٥٣

(٤) أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط١٣٦٥،١ هـ - ١٩٤٦ م، (٥٧/١٥).

(٥) سورة العنكبوت، الآية رقم ٤٦

أولى الناس بالالتقاء على هدي الإسلام الذي ضمّ الأديان كلها، والإيمان بخاتم الأنبياء." (١)

- **الرفق في الدعوة إلى الله تعالى ومنهج نبي الله ابراهيم عليه السلام**

يحكي لنا القرآن جانباً من جوانب الرفق بالمدعوين، والحرص على هدايته، وذلك من خلال قصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام – مع أبيه

قال تعالى {قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا* قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا} (٢).

قيل في تفسير هذه الآية: " بَيِّنَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لِمَّا نَصَحَ أَبَاهُ النَّصِيحَةَ الْمَذْكُورَةَ مَعَ مَا فِيهَا مِنَ الرِّفْقِ وَاللِّينِ، وَإِيضَاحِ الْحَقِّ وَالتَّحْذِيرِ مِنْ عِبَادَةِ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ، وَمِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَوِلَايَةِ الشَّيْطَانِ – خَاطَبَهُ هَذَا الْخِطَابَ الْعَنِيفَ، وَسَمَّاهُ بِاسْمِهِ وَلَمْ يَقُلْ لَهُ «يَا بُنَيَّ» فِي مُقَابَلَةِ قَوْلِهِ لَهُ {يَا أَبَتِ} وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ أَنَّهُ رَاغِبٌ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، أَيْ: مُعْرِضٌ عَنْهَا لَا يُرِيدُهَا ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْبُدُ إِلَّا الله وَحْدَهُ جَلَّ وَعَلَا، وَهَدَّدَهُ بِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَنْتَهِ عَمَّا يَقُولُهُ لَهُ لَيَرْجُمَنَّهُ) قِيلَ بِالْحِجَارَةِ وَقِيلَ بِاللِّسَانِ شَتْمًا (وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِهَجْرِهِ مَلِيًّا أَيْ: زَمَانًا طَوِيلًا، ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ قَابَلَ أَيْضًا جَوَابَهُ الْعَنِيفَ بِغَايَةِ الرِّفْقِ وَاللِّينِ فِي قَوْلِهِ: {سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي} (٣)" (٤)

---

(١) وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير الوسيط، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٤٢٢ هـ (١٩٧٠/٣).

(٢) سورة مريم الآيتان رقم ٤٦-٤٧

(٣) سورة مريم الْآيَةَ رقم ٤٧

(٤) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، (٤٢٧/٣).

ثانياً: الرفق في السنة النبوية المطهرة

حث النبي ﷺ في أحاديث كثيرة على الرفق واللين، وشملت أحاديثه ﷺ جميع أنواع الرفق، فحث على الرفق في كل الأمور، في العبادات، والمعاملات، والأخلاق والسلوكيات، ومن أنواع الرفق، رفق الراعي بالرعية، والرفق بالخدم، وغيره، وسوف نتعرض لبعضها في السطور التالية.

١-الرفق في كل الأمور

فقد حث النبي ﷺ أمته على الرفق واللين في كل الأمور، وبين أن من حرم الرفق واللين؛ فقد حرم خيرا كثيرا، فمن تلك الأحاديث:

- عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: " إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ " (١).
- وعن جرير بن عبد الله ﷺعن النبي ﷺ قال: "مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ "(٢).
- عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: يَا عَائِشَةُ: إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ " (٣).
- وقال ﷺ : لأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: " إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ"(٤).

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق، رقم ٢٥٩٤. ٢٠٠٤/٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق، رقم ٢٥٩٢. ٢٠٠٣/٤.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، عن عائشة رضي الله عنها، برقم ٢٥٩٣. ٢٠٠٣/٤.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين والدعاء إليه والسؤال عنه، رقم ١٨. ٤٨/١.

ودعا ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأصحاب الأخلاق والمعاملات والمواقف السهلة والسمحة بقوله: (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى)[١]

جاء في شرح هذا الحديث " فالسماحة في مباشرة المعاملة، وفي القضاء، والاقتضاء، يرجى لصاحبها كل خير: ديني ودنيوي، لدخوله تحت هذه الدعوة المباركة التي لا بد من قبولها. وقد شوهد ذلك عياناً. فإنك لا تجد تاجراً بهذا الوصف إلا رأيت الله قد صبّ عليه الرزق صباً، وأنزل عليه البركة. وعكسه صاحب المعاسرة والتعسير، وإرهاق المعاملين. والجزاء من جنس العمل. فجزاء التيسير التيسير." [٢]

٢- الرفق بالرعية

الراعي، سواء كان أميراً، أو رب أسرة، أو ربة أسرة، أو خادماً في مال سيده، أو مسؤلاً، عليه أن يرفق برعيته، فيقضي حاجتهم، ويؤدِّي مصالحهم بلين وشفقة، وهي أمانة، وسوف يسأل عنها يوم القيامة فعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ:

" كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ " [٣]

---

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف، برقم: ١٩٧٠. ٣/٥٧.

(٢) أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي ال الدريني، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، (١/١٧١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، برقم: ٨٥٣. ٣/١٥٠.

وعن عائشة– رضي الله عنها– قالت: سمعت من رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: (اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ)[1].

يقول الإمام النووي[2]:" هَذَا مِنْ أَبْلَغِ الزَّوَاجِرِ عَنِ الْمَشَقَّةِ عَلَى النَّاسِ وَأَعْظَمِ الْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِهِمْ وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَحَادِيثُ بِهَذَا الْمَعْنَى " [3]

٣– الرفق بالخدم

حث الإسلام على الرفق واللين مع الخدم، وأولاها الكثير من الشفقة والرحمة والرعاية، وأمرنا الإسلام كذلك أن لا نثقل عليهم، وأن نحسن معاملتهم فعَنِ المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ: "يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ".[4]

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، بَاب فَضِيلَةِ الأمير الْعَادِلِ وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ برقم (١٨٢٨). ١٤٥٨/٣.

(٢) النَّوَوِي (٦٣١ – ٦٧٦ هـ = ١٢٣٣ – ١٢٧٧ م) يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعيّ، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) واليها نسبته. لم في دمشق، وأقام بها زمنا طويلا. من كتبه " تهذيب الأسماء واللغات – ط " و " منهاج الطالبين – ط " و " الدقائق – ط " و " تصحيح التنبيه – ط " في فقه الشافعية رأيت مخطوطة قديمة منه باسم " التنبيه على ما في التنبيه "، و " المنهاج في شرح صحيح مسلم.انظر الاعلام للزركلي ج٨ ص١٤٨

(٣) النووي: شرح صحيح مسلم، (٢١١/١٢).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، انظر: فتح الباري، حديث رقم (٣٠)، ١٥/١. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، حديث رقم (١٦٦١). ١٢٨٢/٣.

وكذلك حذر الإسلام من الاعتداء عليهم وضربهم؛ فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: " اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ»، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقَالَ: «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ»، أَوْ «لَمَسَّتْكَ النَّارُ» "[١]

٤- الرفق بالحيوان

حث النبي ﷺ أمته على الرفق واللين مع الحيوان، وقد وردت في السنة النبوية المطهرة أحاديث كثيرة ترغب في هذا الأمر، منها ما روى مسلم في صحيحه مِن حَدِيثِ شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ رضي اللهُ عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ " [٢]

وأخبر النبي ﷺ عن أن الرفق بالحيوان سبب لمغفرة الذنوب، ففي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ؛ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي فَمَلأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا قَالَ: فِي كلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ".[٣]

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الأيمان، بَابُ صُحْبَةِ الْمَمَالِيكِ، وَكَفَّارَةِ مَنْ لَطَمَ عَبْدَهُ، برقم: ١٦٥٩. ٣/١٢٨١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، بَابُ الْأَمْرِ بِإِحْسَانِ الذَّبْحِ وَالْقَتْلِ، وَتَحْدِيدِ الشَّفْرَةِ، برقم: ١٩٥٥. ٣/١٥٤٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، برقم: ٢٢٣٤، ٣/١١١. صحيح مسلم، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، رقم ٢٢٤٤. ٤/١٧٦١.

وفي هذا الحديث " يحث الرسول ﷺ على الإحسان إلى الحيوانات، ويشير إلى سعة فضل الله وإنه قد يغفر الذنب الكبير بعمل الخير اليسير، فيقول: كان رجل يمشي بصحراء بطريق مكة فعطش عطشا شديدا فوجد بئرا، فنزل فشرب، ثم خرج. فلقي كلبا يلهث، وقد ضاقت أنفاسه من شدة العطش، فأشفق الرجل على هذا الكلب، وقال في نفسه: وقد تذكر الألم الذي أصابه منذ قليل قبل أن يروى. قال في نفسه: إن هذا الكلب يعاني ما عانيت من الجهد والمشقة والظمأ، فنزع خفه ونزل البئر فملأه ماء ثم أمسكه بفمه ليعالج الصعود العسير بيديه، فصعد فوضع الخف أمام الكلب، وجعل يغرف له بخفه حتى أرواه وانصرف، فغفر الله له، وأدخله الجنة بسبب إحسانه إلى هذا الحيوان، قال السامعون من الصحابة –وقد عجبوا لهذا الأجر العظيم –كأن لنا في سقي بهائمنا أجرا يا رسول الله؟ قال: نعم لكم أجر في سقي كل حيوان حي." (١)

(١) موسى شاهين، المنهل الحديث في شرح الحديث، بيروت، دار المدار الإسلامي، ط١، ٢٠٠٢م، (٢٩١/٢)

المبحث الرابع:

التطبيقات الدعوية للرفق في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء المنهج النبوي

هدي النبي وأصحابه في الرفق بالمدعوين يعتبر هو المقياس الحقيقي للرفق واللين، فالنبي ﷺ هو القدوة الحسنة لأمته؛ قال تعالى: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}(١)، وكذلك صحابته الكرام – رضي الله عنهم – الذين اتبعوه بإحسان وعاشوا معه وتلقوا عنه ﷺ، فهم قدوة الدعاة إلى قيام الساعة، وفي السطور التالية أعرض بعض المواقف من سيرة النبي ﷺ وصحابته الكرام، لكي تسير الأمة على دربهم في طريق الدعوة إلى الله تعالى.

١-نموذج الرفق بمن شدد على نفسه في العبادة:

من هدي النبي ﷺ في رفقه بالمدعوين ما حدث مع هؤلاء الصحابة الذين شددوا على أنفسهم في العبادة، وحملوا أنفسهم ما لا تطيق، فرفق النبي ﷺ بهم، ونصحهم شفقة ورحمة بهم؛ فيقص علينا قصتهم الصحابي الجليل أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيقول: "جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي." (٢)

---

(١) سورة الأحزاب الآية رقم ٢١

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، برقم: ٥٠٦٣، ٢/٧. صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، برقم ١٤٠١. ٢/١٠٢٠.

ومما قيل تعليقًا وشرحًا لهذا الحديث: "إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، فيه إشارة إلى رد ما بنوا عليه أمرهم من أن المغفور له لا يحتاج إلى مزيد في العبادة بخلاف غيره فأعلمهم أنَّه مع كونه يبالغ في التشديد في العبادة أخشى لله وأتقى من الذين يشددون وإنما كان كذلك لأنَّ المشدد لا يأمن من الملل بخلاف المقتصد فإنه أمكن لاستمراره وخير العمل ما داوم عليه صاحبه. ".[1]

وهكذا كان ﷺ رفيقًا بأصحابه، وأمرهم بالرفق، ونهاهم عن الشدة، والعنف، والتشدد.

٢- الرجل الذي بال في المسجد

وهذا موقف آخر للنبي ﷺ يضرب فيه المثل الأعلى في الرفق بالمدعوين، والرحمة والشفقة عليهم، ويعلم صحابته الكرام؛ كيفية أسلوب الدعوة، ويوضح لهم الحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة إلى الله تعالى:

فعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مَهْ مَهْ، – كلمة زجر معناه: اسكت – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُزْرِمُوهُ – أي لا تقطعوا عليه بوله– دَعُوهُ؛ فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺدَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ– أي صبه عليه– ".[2]

(١) ابن حجر، فتح الباري، (١٠٥/٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى حفرها، برقم ٢٨٥، ٢٣٦/١.

حينما بال هذا الأعرابي في المسجد أمر النبي ﷺ بتركه؛ لأنه قد شرع في المفسدة، فلو منع ذلك لزادت المفسدة، وقد حصل تلويث إما أن يقطع عليه بوله فيتضرر الأعرابي بحبس البول بعد خروجه؛ وإما أن يقطعه فلا يأمن من تنجيس بدنه، أو ثوبه، أو مواضع أخرى من المسجد.

فأَمَرَ النبي ﷺ بالكف عنه للمصلحة الراجحة، وهي دفع أعظم المفسدتين أو الضررين باحتمال أيسرهما، وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما.(١)

وهذا من أعظم الحكم العالية، فقد راعى النبي ﷺ هذه المصالح، وما يقابلها من المفاسد، ورسم ﷺ لأمته والدعاة من بعده كيفية الرفق بالجاهل، وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف، ولا سبٍّ ولا إيذاء ولا تشديد، إذا لم يكن ذلك منه عنادًا ولا استخفافًا، وقد كان لهذا الاستئلاف والرحمة والرفق الأثر الكبير في حياة هذا الأعرابي وغيره، فقد أثَّر هذا الخلق العظيم في حياة الرجل.**(٢)**

٣-نموذج الرفق بالمدعو ومراعاة حالته النفسية:

ومن هديه ﷺ في الرفق بالمدعوين، أنه ﷺ دخل يصلى بالناس كعادته ﷺ، وكان يريد ﷺ إطالة الصلاة ولكن على الطريقة التي كان يتعهدها الصحابة من النبي ﷺ، فأحس النبي ﷺ ببكاء بعض الصبيان من وراءه وكانوا مع أمهاتهم، فخفف النبي ﷺ من صلاته مراعاة لأمه لئلا تنشغل ببكائه، وهذا من حكمته ﷺ، وتعليم للدعاة وللأئمة مراعاة مصلحة المأمومين بلا تضييع للصلاة على قدر الحاجة، ولتحبيب الناس في الصلاة

(١) ابن حجر، فتح الباري، (٣٢٥/١)، النووي، شرح النووي على مسلم(١٩١/٣).

(٢) سعيد بن على بن وهف القحطاني، رَحمةٌ للعَالَمِين مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ سَيِّدُ النَّاسِ أَجمَعِين نَبيُّ الرَّحمةِ، الرَّحمَةُ المُهدَاةُ خَاتم المرسَلين ﷺ نَشأتهُ، وَأخلاقه، وَمُعجزاته، وَعُمُوم رِسَالَتِهِ ﷺ في ضوء الكتاب والسُّنَّة، الرياض، مطبعة سفير، د.ط، د.ت، ص: ١٨٥.

والعبادة، وهذا هو دور الداعية الفطن، فيحكى لنا هذه الحدث الصحابي الجليل أنس بن مالك فيقول: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: إِنِّي لأَدْخُلُ فِي الصَّلاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ ".(١)

٤-الرفق العام بالمدعوين

في العام الثامن من الهجرة؛ دخل النبي ﷺ مكة فاتحاً، وبعد دخولها أمر الرسول ﷺ بلالًا أن يؤذن على ظهر الكعبة، فكان يومًاً مجموعًا له الناس وكان يومًا مشهودًا.

وكان من الحق على المسلمين أن يتخذوا هذا اليوم عيدًا، يحمدون الله فيه على هذه النعمة الكبرى والنصر العظيم.

بعد أن تم فتح مكة، واجتمع الناس حول رسول الله ﷺ وكان منهم من ائتمروا به ليقتلوه، ومن قاتلوه في بدر، وفي أحد، وحاصروه في غزوة الخندق، وعذبوه وأصحابه، نظر إليهم وهم جميعًا في قبضة يده: أمره نافذ في رقابهم، وحياتهم رهن كلمة ينطق بها، فلم يأخذه العجب والغرور بما وصل إليه من مجد وسلطان، ولم يطف بنفسه ما يتملك نفوس الناس ساعة النصر والظفر من ظلم وطغيان، بل إنه لم تراوده فكرة الانتقام لنفسه والمسلمين عمّا أصابهم على أيدي قريش من الأذى والعدوان، ولكنه نظر إلهم نظرة كلها عفو ورحمة وقال لهم(٢): "...يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَعَظُّمَهَا بِالْآبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، برقم: ٦٧٧، ١/١٤٣.

(٢) محمد الطيب النجار، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، بيروت – لبنان، دار الندوة الجديدة، د.ط، د.ت، (١/٣٥١).

شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[١] ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ."[٢]

فأعتقهم ﷺ جميعاً ولم يسب ذراريهم، وكان الله قد أمكنه منهم، فكانوا له فيئاً، فبذلك سمى أهل مكة الطلقاء؛[٣]: أي الذين أطلقوا فلم يسترقوا، ولم يؤسروا، والطليق هو الأسير إذا أطلق.[٤]

وأنتم الطلقاء: أي: أنتم الخلصاء من قيد الأسر، فإنّهم كانوا حينئذ أسرى.

هذه هي محبّة الأعداء، والعفو عنهم. وهذا ما حقّقه سيدنا محمد رسول الله ﷺ، وضرب به المثل للسماحة التي لا عهد للدّنيا بمثلها، فذلك هو العفو والصفح، وتلك هي دماثة الخلق، وسعة الصدر، وكرم المعدن. إنّه لم يدع الناس إلى فضيلة إلا بدأ بها بنفسه. لم تكن دعوته كلمات عذبة يرسلها على الناس، ولكنها كانت عملاً يتقدّم به إلى الإنسانية؛ ليكون لها منه أسوة وقدوة.[٥]

والنبي ﷺ بعفوه عن أهل مكة أنهى الأحقاد، ووضعها دبر أذنه ليستقبلوا عهدا جديداً فى الإسلام.

---

(١) سورة الحجرات الآية رقم ١٣

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط٣، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م، (١٢/٢).

(٣) رفاعة الطهطاوي: نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، القاهرة، دار الذخائر – القاهرةط١– ١٤١٩ هـ، ص: ٣٦٠.

(٤) أحمد بن محمد القسطلاني: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، القاهرة، المكتبة التوفيقية، د.ط، دت، (٣٨٥/١).

(٥) عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللّحجي: منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول جدة، دار المنهاج،ط٣، ١٤٢٦ هـ /٢٠٠٥ م، (٥٠١/٢).

إن الداعي بدعاية الحق، يجب عليه أن يطهر نفسه من أمرين: أحدهما أدران التألم من الناس لأذى سبقوا به، أو لحسك الصدور، أو لفحش كان منهم، فإنه جاء لهدايتهم، لا لمقابلة إساءة بمثلها، ولا ليشغل نفسه بالنقمة بهم، وإن كانت حقاً أو أخذ حق، ولا علاج لذلك إلا بأن يجعل نسيان الماضي، والتسامح، هو السبيل لهذا النسيان، والعفو عما سلف من سيئات هو الذى يمكن الداعي من الخلاص إلا من الحق.

ثانيهما: أن يبعد الأثرة عن نفسه، فلا يفكر في العمل لنفسه، وذلك يقتضى الإيثار، والفناء في دعوته التي يدعو إليها، وإن تطهير النفس من الأثرة، إنما يكون بتغليب ترك الحقوق إذا لم يكن في تركها إقامة لباطل، أو خفض لحق، أو سكوت عن حق عام، فالداعي ينسى حقوقه الشخصية، بل يهملها من غير تهاون، ولا يترك حقاً عاماً، ولا أمراً من موجبات دعايته فإن تساهل في حقوقه، فلكى يتفرغ بكله للحقوق العامة.

وإذا كان ذلك ما ينبغي أن يكون عليه دعاة الحق، والناصرون له من الناس، فكيف يكون الشأن ممن هو رسول لرب العالمين، إنه ينسى حقوق نفسه، فيعفو عنها، ويذكر حقوق الناس فلا يفرط في أي جزء منها.

ولقد قالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها في وصف النبي ﷺ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَلَا صَخَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يُجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ. (١).

وفى الجملة ما كان يحمل إلا الخير، وينفى عن نفسه كل ما يثيرها على أحد، فلا يكون منه إلا النفع، ولا يحمل نفسه عناء البغض والكراهة إلا أن يكون لله(٢).

(١) مسند أحمد، (٤/ ٢٥٦) برقم: ٢٥٤١٧، وقال محققوه: (إسناده صحيح).
(٢) محمد أبو زهرة(المتوفى: ١٣٩٤هـ): خاتم النبيين ﷺ، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ط، ١٤٢٥ هـ، (١/١٨٦).

نموذج الرفق بالعاصي

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ – رضي الله عنه – قَالَ إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ. قَالُوا: مَهْ مَهْ. فَقَالَ: ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. فَجَلَسَ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ. قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ. قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ. قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ. قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ).[١]

وهذا الموقف العظيم مما يؤكد على الدعاة إلى الله – عز وجل – أن يعتنوا بالرفق والإحسان إلى الناس، ولاسيما من يُرغَبُ في استئلافهم ليدخلوا في الإسلام، أو ليزيد إيمانهم ويثبتوا على إسلامهم.

وكما يبين لنا الرسول ﷺ الرّفق بفعله بينه لنا بقوله وأمرنا بالرفق في الأمر كله.[٢]

إن قصة هذا الشاب " قصة بليغة تضمنت دروساً متعددة في التعامل مع المخطئ، ليس أولها الدعاء له والحنو عليه، والسماح له بالتعبير عن كوامنه، واستجاشة الخير الذي لا يخلو منه قلب خاطئ أبداً، وفيها دعوة لنا

(١) مسند أحمد، (٥/٢٥٦) برقم: (٢٢٢٦٥)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وعزاه إلى الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح (١/ ١٢٩).

(٢) سعيد بن علي القحطاني: مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة – مفهوم، ونظر، وتطبيق، الرياض، مطبعة سفير، د.ط، د.ت، ص: ١٦٦.

لنراجع أنفسنا، ونغير من طريقتنا في التعبير عن ضجرنا من أخطاء أبنائنا وأصدقائنا، فالسب والشتم الذي نكيله للمخطئين لن يكون سبباً في إصلاحهم وتهذيب سلوكهم وتعريفهم بأخطائهم".[1]

ثانياً : التطبيقات الدعوية للرفق بالمدعوين في ضوء منهج الصحابة رضي الله عنهم

هناك عدة مواقف للصحابة – ﷺ– توضح كيف كان تعاملهم مع المدعوين بالرفق واللين والشفقة والرحمة، ومن هذه المواقف:

١–الرفق في المنهج العمري:

لما لم يطبق عليهم الحد؛ فقد جاء في موطأ مالك وغيره" أَنَّ رَقِيقًا لِحَاطِبِ بن أبي بلتعة سَرَقُوا نَاقَةً لِرَجُلٍ مِنْ مُزَيْنَةَ، فَانْتَحَرُوهَا، فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَأَمَرَ كَثِيرَ بْنَ الصَّلْتِ أَنْ يَقْطَعَ أَيْدِيَهُمْ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: إني أَرَاكَ تُجِيعُهُمْ، وَاللَّهِ لأُغَرِّمَنَّكَ غُرْمًا يَشُقُّ عَلَيْكَ، ثُمَّ قَالَ لِلْمُزَنِيِّ: كَمْ ثَمَنُ نَاقَتِكَ؟ قَالَ: أَرْبَعِمِائَةِ دِرْهَمٍ، قَالَ عُمَرُ: أَعْطِهِ ثَمَانَمِائَةِ دِرْهَمٍ." [2]

٢–الرفق في منهج أبا الهيثم بن التيهان:

وقد أوصى النبيﷺ صحابتهﷺ بالرفق بالأسارى، وعدم إيذائهم، وحسن معاملتهم وإكرامهم، وقد امتثل الصحابة لأمر النبيﷺ، وضربوا الأمثلة الرائعة في ذلك، فقد أعطى النبيﷺ أبا الهيثم بن التيهان أسيراً وقال له:

(خُذْ هَذَا، وَاسْتَوْصِ بِهِ خَيْرًا، فَإِنِّي رَأَيْتُهُ يُصَلَّى، وَإِنِّي نُهِيتُ عَنْ قَتْلِ الْمُصَلِّينَ، فَأَخَذَهُ أَبُو الْهَيْثَمِ فَانْطَلَقَ إِلَى مَنْزِلِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ

(١) منقذ بن محمود السقار: الدين المعاملة، مكة، رابطة العالم الإسلامي، سلسة دعوة الحق (كتاب شهري محكّم) – السنة ٢٤، العدد ٢٣٧، عام ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، ص: ٧٦.

(٢) مالك بن أنس (المتوفى: ١٧٩هـ)، موطأ الإمام مالك، تحقيق: بشار عواد معروف – محمود خليل، بيروت، مؤسسة الرسالة، د.ط، ١٤١٢ هـ، (٤٧٠/٢).

أَوْصَانِي بِكَ خَيْرًا فَأَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ – وفي رواية أخرى – قَالَ لَهُ: أَنْتَ حَرٌّ لِوَجْهِ اللهِ وَلَكَ سَهْمٌ مِنْ مَالِي)[١]

٣-الرفق في منهج أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ

ومن صور الرحمة التي طبقها الصحابة ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ ما رواه عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ قَالَ: كُنَّا فِي الْبَحْرِ وَعَلَيْنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ قَيْسٍ الْفَزَارِيُّ وَمَعَنَا أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ، فَمَرَّ بِصَاحِبِ الْمَقَاسِمِ وَقَدْ أَقَامَ السَّبْيَ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَبْكِي، فَقَالَ: مَا شَأْنُ هَذِهِ؟ قَالُوا: فَرَّقُوا بَيْنَهَا وَبَيْنَ وَلَدِهَا، قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِ وَلَدِهَا حَتَّى وَضَعَهُ فِي يَدِهَا، فَانْطَلَقَ صَاحِبُ الْمَقَاسِمِ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ فَأَخْبَرَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي أَيُّوبَ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ».[٢]

(١) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: شعب الإيمان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠، (٦/ ٣٣٤)، برقم: ٤٦٠٦.

(٢) سنن الترمذي، بَابٌ فِي كَرَاهِيَةِ التَّفْرِيقِ بَيْنَ السَّبْيِ، (١٣٤/٤)، برقم: ١٥٦٦، وقال الترمذي: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِمْ، كَرِهُوا التَّفْرِيقَ بَيْنَ السَّبْيِ بَيْنَ الوَالِدَةِ وَوَلَدِهَا، وَبَيْنَ الوَلَدِ وَالوَالِدِ، وَبَيْنَ الإِخْوَةِ.

المبحث الخامس:

الضوابط الدعوية لأسلوب الرفق في الدعوة إلى الله تعالى .

للرفق في الدعوة إلى الله تعالى ضوابط وآثار مهمة، لذا نستعرض في هذا المبحث؛ بعض ضوابط الرفق؛ وهي: الرفق بلا ضعف، الرفق بلا تساهل وتفريط، الرفق لا يناقض تطبيق الشرع، وكذلك نستعرض بعض آثار التحلي بالرفق على الدعوة الإسلامية، وعلى الدعاة، وعلى المدعوين.

أولاً: ضوابط الرفق

للرِّفق ضوابط لا ينبغي تجاهلها أو التّهاون فيها؛ لما لها من الأهمية، فبها يتمكّن الفرد من استعمال الرِّفق استعمالاً سليماً، وبدونها ربما فُسِّر الرِّفق تفسيراً خاطئاً، وبدا فاعله في مظهر غير لائق، وأدّى رِفقه هذا إلى نتائج سلبية.

وهذه الضوابط مستنبطة من النصوص، ومن حكمة مشروعية الرِّفق، ومن أبرزها:

١-الرفق بلا ضعف

فالرفق مع الضعف يعتبر عجزاً، والإسلام نهى عن العجز في الحديث عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ).[١]

(١) صحيح مسلم: كتاب القدر – باب في الأمر بالقوة وترك العجز، برقم: ٢٦٦٤. ٢٠٥٢/٤.

والنبي ﷺ علم أمته الاستعاذة من العجز والكسل فكان من دعائه ﷺ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.) (١)

كما أن الشدة مع العنف غِلْظة، والله تعالى يقول لنبيه ﷺ: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (٢)

٢-الرفق بلا تساهل وتفريط

فليس من الرِّفق دعوة الناس إلى التساهل في الدين، والعدولِ عن السبيل القويم، وليس منه أيضاً التسامح مع من يترك المأمورات، أو يقترف المحظورات، أو يعطل الحدود أو يتهاون فيها؛ لما في ذلك من إثم كبير.

وفي الحديث: (مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، لِنَفْسِهِ، إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ فَيَنْتَقِمَ للهِ بِهَا). (٣) وأعظم الإثم في ترك واجب، أو فعل محرّم، فهذا لا رفقَ فيه ولا تسامح.

وإذا كان الرِّفق محموداً ومفيداً في أكثر الأحوال وأغلب الأمور، فإن الحاجة إلى الشدَّة والقوة قد تقع في بعض الأحيان.

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير – باب ما يتعوذ من الجبن (٢٨٢٣)ج١ ص ٥٣، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء – باب التعوذ من العجز والكسل ٢٧٠٦ج٤ ص٢٠٨٠

(٢) سورة آل عمران الآية رقم ١٥٩

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، برقم: ٣٣٦٧. ١٨٩/٤.

(عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ أُهْدِيَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرُّوجُ حَرِيرٍ – هو القَباء الذي فيه شَقٌّ من خلفه– فَلَبِسَهُ فَصَلَّى فِيهِ ثُمَّ انْصَرَفَ فَنَزَعَهُ نَزْعًا شَدِيدًا كَالْكَارِهِ لَهُ وَقَالَ لَا يَنْبَغِي هَذَا لِلْمُتَّقِينَ).(١)

قيل إن "شديدًا" في قوله صلى الله عليه وسلم: (فنزعه نزعا شديداً) بمعنى عنيفًا، وذلك بناء على ما جاء في رواية الإمام أحمد، حيث جاء عن بعض شراح الحديث: «زاد أحمد في روايته: (عنيفاً) أي: بقوة ومبادرةٍ لذلك، على خلافِ عادته في الرِّفق والتّأنِّي، وهو مما يؤكِّدُ أن التحريم وقع حينئذ».(٢)؛ وروي في باب: ما يجوز من الغضب والشِّدَّة لأمر الله تعالى(٣).

كأنه يشير إلى أن الحديث الوارد في أنه ﷺ كان يصبر على الأذى إنما هو فيما كان من حقِّ نفسِه، وأما إذا كان لله تعالى فإنه يتمثَّلُ فيه أمر الله من الشِّدَّة(٤)

٣-الرفق لا يناقض تطبيق الشرع

قال تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ}(٥) ومعنى قوله تعالى: {وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ الله}:

" تحذير من الرحمة الحمقاء، الرحمة في غير محلها، وعلى حَدِّ قول الشاعر:(٦)

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب القباء وفروج الحرير، برقم: ٥٨٠١. ١٤٤/٧.
(٢) ابن حجر، فتح الباري، (٢٨٢/١٠).
(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة، ٢٧/٨.
(٤) ابن حجر، فتح الباري، (٥٣٤/١٠).
(٥) سورة النور الآية رقم ٢
(٦) قاله أبو تمام في مالك بن طوق. [ينظر: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠ هـ): الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: تحقيق/ مجموعة من المحققين، الناشر: مكتبة الخانجي – الطبعة الأولى ١٩٩٤ م ٣٢٧/٣].

فَقَسَا لِيزْدْجِرُوا ومَنْ يَكُ حَازِماً... فَلْيَقْسُ أَحْيَاناً على مَنْ يَرحَمُ

فالرأفة لا تكون في حدود الله، ارأفوا بهم في مسائلكم الخاصة فيما بينكم، وعجيب أن تدعوا الرأفة في مسائل الحدود، وأنتم من ناحية أخرى تضربون وتسرقون أموال الناس، وتنتهكون حرماتهم، وتثيرون بينهم الفتنة والحروب، فأين الرأفة إذن؟ إذن: لا مجالَ للرحمة وللرأفَة في حدود الله، فلسنا أرحم بالخَلْق من الخالق، وما وُضِعَتْ الحدود حباً في تعذيب الناس، إنما وُضِعت وشُدِّد عليها لتمنع الوقوع في الجريمة التي تستوجب الحد، فقَطْع يد واحدة تمنع قَطْع آلاف الأيدي." [١]

وَعَنْ عَائِشَةَ رضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ قُرَيْشاً أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المرْأَةِ المخْزُومِيَّةِ الَّتي سَرَقَتْ فَقَالُوا: منْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّه ﷺ، فَقَالُوا: وَمَنْ يجترئ عَلَيْهِ إلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيدٍ، حِبُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَتَشْفَعُ في حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالى؟ "ثُمَّ قامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّمَا أَهلَكَ الَّذينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهمْ كَانُوا إِذا سَرَقَ فِيهم الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ، أَقامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتَ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"[٢] متفقٌ عَلَيْهِ.

وهكذا كانت الأحكام الإسلامية تطبق على القوى والضعيف، ومن له نسب، ومن ليس نسبه يحميه، وأن النبي ﷺ أشار إلى معنى اجتماعي في قيام الأمم وقوتها، فبين عليه الصلاة والسلام أن العدالة والمساواة أمام القانون هي التي تبنى الأمم، ولا ملك يقوم من غير عدالة، بل إنه إن بدا

(١) محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، (١٠١٩٧/١٦)

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الحدود، باب: حديث الغار (٣٤٧٥)، صحيح مسلم، كتاب: الحدود، بَابُ قَطْعِ السَّارِقِ الشَّرِيفِ وَغَيْرِهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الشَّفَاعَةِ فِي الْحُدُودِ (١٦٨٨). ١٣١٥/٣.

قويا، فإن الظلم الذى يكون فيه يهدم أركانه ويقوض بنيانه فلا قوة لأمة بظلم، ولا علو لجماعة بغير العدل.

ولقد أمر النبي ﷺبقطع يدها، ليعلموا أن قريشا العزيزة المتفاخرة بأنسابها هي والجميع على السواء، وذلك ضرب في جنب العصبية الجاهلية، ولقد حسن إسلامها بعد قطع يدها، وعلمت أن يدها طهرتها، وسبقتها إلى الجنة، كما قال النبي ﷺ.[1]

(١) أبو زهرة، خاتم النبيين ﷺ، (٣/٩١٠).

المبحث السادس

الأثار الدعوية لأسلوب الرفق في الدعوة إلى الله تعالى

هناك آثار محمودة كثيرة وعظيمة لخلق الرفق واللين، وهذه الآثار تعود بالنفع على الدعوة الاسلامية، وعلى الداعية؛ وعلى المدعو من هذه الآثار:

المطلب الأول: أثر الرفق في الدعوة إلى الله على المدعو إليه

١-حب الناس وانجذابهم للإسلام

فالناس تنجذب إلى قيم الإسلام وسماحته، ويرى الناس في الإسلام صورة حية للرفق واللين والشفقة للناس عامة، وهذا ما يتضح في كثير من مبادئ الإسلام، ونرى ذلك جلياً في سيرة النبي ﷺ وصحابته الكرام؛ وقد روت السيدة عائشة عنه ﷺ " مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، لِنَفْسِهِ، إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ فَيَنْتَقِمَ للهِ بِهَا [١]

ولعل ما يوضح انجذاب الناس للإسلام ما جاء في المستدرك عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أَنْ يَهُودِيًّا، كَانَ يُقَالَ لَهُ جُرَيْجِرَةُ كَانَ لَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَنَانِيرُ فَتَقَاضَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «يَا يَهُودِيُّ، مَا عِنْدِي مَا أُعْطِيكَ» قَالَ: فَإِنِّي لَا أُفَارِقُكَ يَا مُحَمَّدُ حَتَّى تُعْطِيَنِي، فَقَالَ ﷺ: «إِذًا أَجْلِسُ مَعَكَ» فَجَلَسَ مَعَهُ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ الْآخِرَةَ وَالْغَدَاةَ وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَدَّدُونَهُ، وَيَتَوَعَّدُونَهُ فَفَطِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَصْنَعُونَ بِهِ؟» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَهُودِيٌّ يَحْبِسُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنَعَنِي رَبِّي أَنْ أَظْلِمَ مُعَاهَدًا وَلَا غَيْرَهُ» فَلَمَّا تَرَحَّلَ النَّهَارُ قَالَ الْيَهُودِيُّ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَقَالَ: شَطْرُ مَالِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمَا

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، برقم: ٣٣٦٧. ١٨٩/٤.

وَاللَّهِ مَا فَعَلْتُ الَّذِي فَعَلْتُ بِكَ إِلَّا لِأَنْظُرَ إِلَى نَعْتِكَ فِي التَّوْرَاةِ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجَرُهُ بِطَيْبَةَ وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا مُتَزَيٍّ بِالْفُحْشِ، وَلَا قَوْلِ الْخَنَا، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، هَذَا مَالِي فَاحْكُمْ فِيهِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ، وَكَانَ الْيَهُودِيُّ كَثِيرَ الْمَالِ ".[1]

٢-تحقيق الأمن النفسي والدولي للمجتمع وحمايته[2]

لا يخفى على الإنسان أهمية الأمن في كل مجتمع فإذا فقد الأمن اضطربت النفوس، وسيطر عليها الخوف والقلق وتعطلت مصالح الناس، وانقبضوا عن السعي والكسب، وانحصرت هممهم بتأمين أنفسهم ومن تحت أيديهم، ودفع الظلم والعدوان الواقع أو المتوقع عليهم. فهل يمكن للإنسان أن يعبد ربه ويقوم بواجبات دينه كما أمره الله والخوف يحاصره، والقلق يساوره، وتوقع المكروه يخنق صوته ويكتم أنفاسه. فلا يمكن للحياة أن تستقر وتزدهر إلا بالأمن، ولا يمكن أن تستقيم أحوال الناس، وتنتظم أمورهم، وتهدأ نفوسهم إلا بتوفره فهو حاجة إنسانية، وضرورة بشرية وغريزة فطرية ملحة، ولا يكاد الناس يجمعون على طلب شيء والسعي لتحصيله، كما يجمعون على طلب الأمن والحرص عليه.

(١) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، (٦٧٨/٢، رقم ٤٢٤٢). والحديث أورده الحاكم، والبيهقى فى الدلائل، وابن عساكر، قال ابن حجر فى الأطراف: لم يتكلم عليه. والحاكم وقال: فى إسناده أبو على محمد بن محمد بن الأشعث الكوفى وكذبه جماعة. [كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ) المحقق: بكري حياني - صفوة السقا الناشر: مؤسسة الرسالة]

(٢) فرج، الرفق وأثره في الدعوة إلى الله، ص: ٤٤٥- ٤٤٦.

والضرورة إلى انتشار الأمن والاطمئنان بين الناس توازي حاجتهم إلى الطعام، فقد وجه الله الخطاب لقريش يأمرهم بالإيمان به وتوحيده معدداً لهم نعمه العظيمة قائلاً: {الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ}(١)

ونظير هذه الآية قوله سبحانه وتعالى في معرض تذكير قريش بها امتن الله به عليها مقدماً فيها نعمة الأمن على تحصيل الثمار والرزق، فقال: {وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}(٢)

ولا أدل على ذلك أيضاً من دعاء خليل الرحمن سيدنا إبراهيم –عليه السلام– القيم لهذا البلد المبارك أن يكون آمناً من إفساد المفسدين وهتك المغرضين، يقول الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}(٣)

كما نوه النبي ﷺ إلى أهمية هذا الأمن وقيمته في حياة الفرد والمجتمع بقوله: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا)(٤)

ومما سبق من أهمية الأمن يتبين حتمية ووجوب الدعوة إلى الله تعالى ببصيرة وعلم ورفق مع المدعوين حتى يبنى جيل عالم بأحكام دينه، رحيم بأمته، يسعى إلى بناء مجتمعه، لا هدمه وتدمير منشآته.(٥)

---

(١) سورة قريش الآية رقم ٤

(٢) سورة القصص الآية رقم ٥٧

(٣) سورة البقرة الآية رقم ١٢٦

(٤) سنن الترمذي: كتاب الزهد، باب في التوكل على الله، برقم: ٢٣٤٤ قال حديث حسن. ٤/٥٧٤.

(٥) فرج، الرفق وأثره في الدعوة إلى الله، ص: ٤٤٦.

المطلب الثاني: أثر الرفق في الدعوة إلى الله تعالى على المدعو .

-حب المدعوين للداعي

وهذه من آثار الرفق واللين في الدعوة أن تتعلق قلوب المدعوين بالداعي، وتتسكب محبته في قلوبهم، فالنفوس تنقاد لمن تحب، وهذا ما وجدناه في سيرة النبي ﷺ، من حب أصحابه الشديد له، وهذه نتيجة الرفق واللين والشفقه عليهم؛ كما أوضحنا ذلك في المباحث السابقة؛ ولنضرب هنا مثالاً للحب العظيم من الصحابة للداعية الأول النبي ﷺ.

وعن عروة بن الزبير ﷺ قال:" مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ، بُنَيَّ، لِتَكُنْ كَلِمَتُكَ طَيِّبَةً، وَلْيَكُنْ وَجْهُكَ بَسِيطًا، تَكُنْ أَحَبَّ إِلَى النَّاسِ مِمَّنْ يُعْطِيهِمُ الْعَطَاءَ وَقَالَ: مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ، أَوْ فِي التَّوْرَاةِ: الرِّفْقُ رَأْسُ الْحِكْمَةِ وَقَالَ: مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ: كَمَا تَرْحَمُونَ تُرْحَمُونَ، وَكَمَا تَزْرَعُونَ تَحْصُدُونَ"(١)

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: لَمَّا أَصَابَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْغَنَائِمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَقَسَمَ لِلْمُتَأَلِّفِينَ مِنْ قُرَيْشٍ، وَفِي سَائِرِ الْعَرَبِ مَا قَسَمَ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ، وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ وَاللهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْمَهُ، فَمَشَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ: فِيمَ؟ فَقَالَ: فِيمَا كَانَ مِنْ قَسْمِكَ هذه الْغَنَائِمَ فِي قَوْمِكَ، وَفِي سَائِرِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟ فَقَالَ: مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي مَا أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ، فَإِذَا اجْتَمَعُوا فِيهَا فَأَعْلِمْنِي»، فَخَرَجَ سَعْدٌ فَصَرَخَ فِيهِمْ فَجَمَعَهُمْ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَأَذِنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنَ

(١) أحمد ابن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ)، الزهد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، (٤٤/١).

الْأَنْصَارِ أَحَدٌ إِلَّا اجْتَمَعَ لَهُ أَتَاهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ حَيْثُ أَمَرْتَنِي أَنْ أَجْمَعَهُمْ فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَامَ فِيهِمْ خَطِيبًا فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ تَعَالَى وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ» قَالُوا بَلَى ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا تُجِيبُونِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟» فَقَالُوا: وَمَا نَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ؟ الْمَنُّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، فَقَالَ: «أَمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ: جِئْتَنَا طَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ، وَخَائِفًا فَأَمَّنَّاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ»، فَقَالُوا: الْمَنُّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى مَا قَسَمَ اللهُ لَكُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ إِلَى رِحَالِهِمْ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللهِ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ فو الذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ النَّاسَ سَلَكُوا شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امرءا من الْأَنْصَارِ، اللهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ»، فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا رَضِينَا بِاللهِ وَرَسُولِهِ قَسْمًا ثُمَّ انْصَرَفَ وَتَفَرَّقُوا " (١)

قال الخطابي: أراد النبي صلى الله عليه وسلم –بهذا الكلام– تألف الأنصار، واستطابة نفوسهم، والثناء عليهم في دينهم، حتى رضي أن يكون واحدًا منهم لولا ما يمنعه من الهجرة التي لا يجوز تبديلها، ثم إنه –إلى جانب ذلك– كان يعطيهم المال بغية ألفتهم بالإسلام ورسوخهم فيه. وقال النواوي: لستميل قلوبهم بالإحسان ليثبتوا على الإسلام رغبة في المال، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة من الصدقات وكانوا من أشراف

(١) أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥ هـ، (١٧٧/٥).

العرب، فمنهم من كان يعطيه دفعًا لأذاه، ومنهم من كان يعطيه طمعًا في إسلامه وإسلام نظرائه وأتباعه ومنهم من كان يعطيه ليثبت على إسلامه لقرب عهده بالجاهلية.[١]

المطلب الثالث: أثر الرفق في الدعوة إلى الله تعالى على الداعية .

-النجاة يوم القيامة من النار

من الآثار العظيمة لمن يتحلى بصفة الرفق واللين أن الله تعالى يحرم على وجهه النار يوم القيامة، وقد أخبر بذلك رسول الله ﷺ، ففي الحديث " عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ؟ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ)[٢] وفي رواية أخرى: (إِنَّمَا يُحَرَّمُ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لين قريب سهل).[٣]

(١) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٨/ ٥١)، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم: حمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، نزيل مكة المكرمة والمجاور بها، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي، المستشار برابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة، الناشر: دار المنهاج – دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م (١٢/ ٢١٢، ٢١٣).

(٢) سنن الترمذيّ، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب برقم (٢٤٨٨) ٤/٦٥٤. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٣) أخرجه ابن حبان، باب حسن الخلق، ذكر البيان بأن المرء إذا كان هيناً ليناً قريباً سهلاً قد يرجى له النجاة من النار بها، برقم (٤٦٩)، (٢/٢١٥) وقال محققه شعيب الأرنؤوط: صحيح بشواهده، وأخرجه الطبراني في "الكبير" "١٠٥٦٢" عن محمد بن زريق المصري، عن عيسى بن حماد، بهذا الإسناد.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين التي تتم بنعمته الصالحات ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات

أولاً النتائج:

اشتملت هذه الدراسة على عدة نتائج مهمة منها:

- إن الرفق صفة من صفات الله عز وجل، وهذا مدح للرفق في أعلى صوره، فهو سبحانه رؤوف بعباده، رحيم بهم، رفيق في أمره ونهيه.
- للرفق أنواع منها: الرفق مع النفس، والرفق مع المسلم، والرفق مع غير المسلم.
- من مجالات الرفق: الرفق في المجال العقدي والدعوي، والرفق في المجال التشريعي، و الرفق في مجال الأخلاق والسلوك.
- ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة في الرفق بالمدعوين، وحياته ﷺ كانت خير مثال على ذلك.
- الرفق من أنجح الأساليب الدعوية التي يجب على الدعاة أن يسلكوها في دعوتهم.
- إن معالم أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى: هو الرفق واللين مع المدعو، وأن خلق الرفق هو نتيجة التحلي بالأخلاق الكريمة.
- من أهم ضوابط الرفق؛ اللين بلا تساهل في الدين، ولا اقتراف للمحظورات، أو تعطيل للحدود.
- من أهم آثار الرفق إلى الدعوة الإسلامية، ميل الناس وحبهم وانجذابهم للإسلام، ومن آثاره أيضاً؛ نهوض الدعوة الإسلامية ونجاحها، وتحقيق الأمن النفسي والدولي للمجتمع وحمايته.

ثانياً التوصيات العلمية للبحث :

- ضرورة تحلي الداعية بخلق الرفق واللين عند إيضاح الحق؛ وتكون سبب لهداية الخلق، وبلوغ القصد من الدعوة الإسلامية.
- عقد مؤتمرات وندوات تثقيفية وتعليمية تخص الدعوة الإسلامية تراعي فيها اختلاف قدرات الناس وإمكاناتهم العلمية
- الأهتمام بمنهج النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم في الدعوة إلى الله عز وجل في الجامعات والمعاهد والمدارس ببيان عناية الإسلام بالرفق وخطورة الشدة والغلظة في غير موضعها

فهرس المصادر والمراجع

١- ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، د.ط، ١٣٧٩ هـ.

٢- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، الزهد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٣- ابن علي، أحمد بن حجر آل بوطامي، الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب، الدوحة، مكتبة الثقافة، د.ط، ١٤٠٣ هـ.

٤- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار المعرفة، ط٢، ١٣٩٥ - ١٩٧٥م.

٥- ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط٣، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.

٦- أبو زهرة، خاتم النبيين ﷺ، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ط، ١٤٢٥ هـ.

٧- آل سعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي ال الدريني، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

٨- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ.

٩- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥ هـ.

١٠-الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، بيروت، دار الجيل الجديد، ط١٠، ١٤١٣ هـ .
١١-حمدان، نذير، الرسول في كتابات المستشرقين، جدة، دار المنارة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
١٢-الخراز، خالد بن جمعة، مَوْسُوعَةُ الأَخْلَاقِ، الكويت، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٠ هـ،٢٠٠٩ م.
١٣-الخطيب، عبد الكريم يونس (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، التفسير القرآني للقرآن، القاهرة،: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.
١٤-دروزة، محمد عزت، التفسير الحديث، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، ١٣٨٣هـ.
١٥-الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٤٢٢ هـ.
١٦-الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، د.ط، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
١٧-الطهطاوي، رفاعة رافع، نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، القاهرة، دار الذخائر - القاهرة، ط١- ١٤١٩ هـ.
١٨-الغزالي، محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، د.ط، د.ط.
١٩-فرج، نورة بنت عبد اللطيف، الرفق وأثره في الدعوة إلى الله، ماجستير، كلية أصول الدين والدعوة، مكة، جامعة أم القرى، ١٤٣٠هـ.
٢٠-القاري، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢١-القحطاني، سعيد بن على بن وهف القحطاني، رَحمةٌ للعَالَمِين مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّـهِ سَيِّدُ النَّاسِ أَجمَعِين نَبيُّ الرَّحمةِ، الرَّحمَةُ المُهدَاةُ خَاتم المرسَلين ﷺ نَشأتهُ، وَأخلاقه، وَمُعجزاته، وَعُمُوم رِسَالَتِهِ ﷺ في ضوء الكتاب والسُّنَّة، الرياض، مطبعة سفير، د.ط، د.ت.

٢٢-القحطاني، سعيد بن علي، مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة – مفهوم، ونظر، وتطبيق، الرياض، مطبعة سفير، د.ط، د.ت، ص: ١٦٦.، مكة، رابطة العالم الإسلامي، سلسة دعوة الحق (كتاب شهري محكّم) – السنة ٢٤، العدد ٢٣٧، عام ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

٢٣-القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، المملكة العربية السعودية دار عالم الكتب، ط،١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

٢٤-القسطلاني، أحمد بن محمد، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، القاهرة، المكتبة التوفيقية، د.ط، دت.

٢٥-لاشين، موسى شاهين، المنهل الحديث في شرح الحديث، بيروت، دار المدار الإسلامي، ط١، ٢٠٠٢م.

٢٦-اللّحجي، عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي، منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ جدة، دار المنهاج،ط٣، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.

٢٧-الماجد، وفاء، الرفق في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، ماجستير، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٣٤هـ.

٢٨-مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، موطأ الإمام مالك، تحقيق: بشار عواد معروف – محمود خليل، بيروت، مؤسسة الرسالة، د.ط، ١٤١٢ هـ.

٢٩-المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

٣٠-النجار، محمد الطيب، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، بيروت - لبنان، دار الندوة الجديدة، د.ط، د.ت.

٣١-النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ.

References :

1- abin taymiatun, taqi aldiyn 'abu aleabaas 'ahmad bin eabd alhalim bin eabd alsalam bin eabd allah bin 'abi alqasim bin muhamad aibn taymiat alharaanii alhanbali aldimashqii (almutawafaa: 728hi), aqtida' alsirat almustaqim limukhalafat 'ashab aljahima, tahqiqa: nasir eabd alkarim aleaqla, bayrut, dar ealam alkutab, bayrut, lubnan, ta7, 1419h - 1999m.

2- abin hajar, 'ahmad bin eulay, fath albari sharh sahih albukhari, bayrut, dar almaerifati, du.ti, 1379 h.

3- abin hanbul, 'abu eabd allh 'ahmad bin muhamad bin hanbal bin hilal bin 'asad alshaybani (almutawafaa: 241hi), alzuhdu, bayrut, dar alkutub aleilmiati, ta1, 1420 hi - 1999 mi.

4- abin ealay, 'ahmad bin hajar al butami, al'iislam walrasul fi nazar munsifii alsharq walgharba, aldawhatu, maktabat althaqafati, du.ti, 1403 hi.

5- abin qiam aljawziati, muhamad bin 'abi bakr 'ayuwb alzareii 'abu eabd allah, 'iighathat allahfan min masayid alshaytan, tahqiqu: muhamad hamid alfaqi, bayrut, dar almaerifati, ta2, 1395 - 1975m.

6- abin hisham, eabd almalik, alsiyrat alnabawiatu, tahqiqu: mustafaa alsaqaa wakhrun, alqahiratu, matbaeat mustafaa albabi alhalabii ta3, 1375h - 1955 mi.

7- 'abu zahrata, khatam alnabiiyn ρ, muhamad bin 'ahmad bn mustafaa bin 'ahmad almaeruf bi'abi zahra (almutawafaa: 1394ha), alqahirata, dar alfikr alearabii, du.ti, 1425 hi.

8- al saedi, 'abu eabd allah, eabd alrahman bin nasir bin eabd allh bin nasir bin hamd (almutawafia: 1376hi), bahjat qulub al'abrar waqurat euyun al'akhyar fi sharh jawamie al'akhbari, tahqiqu: eabd alkarim bin rasmi al aldirini, maktabat alrishdi, ta1, 1422hi, 2002m.

9- albianuni, muhamad 'abu alfathi, almadkhal 'iilaa eilm aldaewati, bayrut, muasasat alrisalati, ta3, 1995m.

10- albihaqi, 'abu bakr 'ahmad bin alhusayni, shaeb al'iimani, bayrut, dar alkutub aleilmiati, ta1, 1410hi.
11- albihaqi, 'ahmad bin alhusayn bin ealiin bin musaa alkhusrawjirdy alkhirasani, 'abu bakr albayhaqi (almutawafaa: 458hi), dalayil alnubuat wamaerifat 'ahwal sahib alsharieati, bayrut, dar alkutub aleilmiati, ta1, 1405 hu.
12- alhijazi, muhamad mahmud, altafsir alwadiha, bayrut, dar aljil aljadid, ta10, 1413 hu .
13- hamdan, nadhir, alrasul fi kitabat almustashriqina, jidata, dar almanarat lilnashr waltawziei, ta2, 1406 hi - 1986 mi.
14- alkharazi, khalid bin jumeat, mawsueat al'akhlaqi, alkuayta, maktabat 'ahl al'athar lilnashr waltawziei, ta1, 1430 ha,2009 mi.
15- alkhatib, eabd alkarim yunis (almutawafaa: baed 1390h), altafsir alquraniu lilqurani, alqahirati,: dar alfikr alearabii, du.ta, da.t.
16- druzata, muhamad eizat, altafsir alhadithi, alqahirata, dar 'iihya' alkutub alearabiati, du.ti, 1383hi.
17- alzuhayli, wahbat bin mustafaa, altafsir alwasiti, dimashqa, dar alfikri, ta1, 1422 hi.
18- alshanqiti, muhamad al'amin bin muhamad almukhtar bin eabd alqadir aljakniu alshanqitii (almutawafaa: 1393hi), 'adwa' albayan fi 'iidah alquran bialqurani, bayrut, dar alfikr liltibaeat w alnashr w altawzie, du.ta, 1415 hi - 1995 mi.
19- salih bin humayd wakhrun, mawsueat nadrat alnaeim fi 'akhlaq alrasul alkarim ρ, jidata, dar alwasilat lilnashr waltawziei, ta1, 1418 hi - 1998m.
20- alsalabi, eali muhamadu, alssirt alnnbwyt - erd waqayie wathlyl ahdath, bayruta, lubnan, dar almaerifati, ta7, 1429 hi - 2008 mi.
21- altahtawi, rafaeat rafie, nihayat al'iijaz fi sirat sakin alhajazi, alqahirata, dar aldhakhayir - alqahirati, ta1- 1419 hu.

22- alghazali, muhamad bin muhamad (t 505hi), 'iihya' eulum aldiyn, birut, dar almaerifati, du.ti, du.ti.
23- fariji, nurat bint eabd allatifi, alrifq wa'atharuh fi aldaewat 'iilaa allah, majistir, kuliyat 'usul aldiyn waldaewati, makati, jamieat 'um alquraa, 1430hi.
24- alqary, eali bin (sultan) muhamad, 'abu alhasan nur aldiyn almula alharawiu alqariyu (almutawafaa: 1014hu), murqaat almafatih sharh mishkaat almasabihi, bayrut, dar alfikr, ta1, 1422h - 2002m.
25- alqahtani, saeid bin ealaa bin wahaf alqahtani, rahmt llealamin muhammad rasul alllah sayid alnnas 'ajmaein naby alrrahmti, awakhlaqh, wamuejzath, waeumum risalatih ρ fi daw' alkitaab walssnnat, alriyad, matbaeat sfiri, du.ti, da.t.
26- alqahtani, saeid bin eulay, muqawimat aldaaeiat alnaajih fi daw' alkitaab walsunat - mafhumi, wanazari, watatbiqi, alriyad, matbaeat sfiri, du.ta, da.ta, si: 166., makat, rabitat alealam al'iislami, salisat daewat alhaqi (kitab shahrayun mhkkm) - alsanat 24, aleadad 237, eam 1430 hi - 2009 mi.
27- alqurtibi, 'abu eabd allah muhamad bin 'ahmad bin 'abi bakr bin farah al'ansarii alkhazrijiu shams aldiyn alqurtibii (almutawafaa: 671 hu), aljamie li'ahkam alqurani, tahqiqu: hisham samir albukhari, almamlakat alearabiat alsueudiat dar ealam alkutub, ta,1423 ha/ 2003 ma.
28- alqustalani, 'ahmad bin muhamad, almawahib alladunyat bialminah almuhamadiati, alqahirati, almaktabat altawfiqiati, du.ti, dit.
29- lashin, musaa shahin, almunhal alhadith fi sharh alhadithi, birut, dar almadar al'iislami, ta1, 2002m.
30- alllhjy, eabd allh bin saeid bin muhamad eabaadi, muntahaa alsuwl ealaa wasayil alwusul 'iilaa shamayil alrasul ε jidata, dar alminhaji,ta3, 1426 ha/ 2005 mi.

31- almajid, wafa', alrifq fi aldaewat 'iilaa allah fi daw' alkitaab walsanati, majistir, alsaeudiati, jamieat al'iimam muhamad bin saeud, 1434hi.
32- malik bin 'anas bin malik bin eamir al'asbahi almadanii (almutawafaa: 179hi), muataa al'iimam malk, tahqiqi: bashaar eawad maeruf - mahmud khalil, bayrut, muasasat alrisalati, du.ta, 1412 hu.
33- almaraghi, 'ahmad bn mustafaa almaraghi (almutawafaa: 1371hi), tafsir almaraghi, alqahirati, sharikat maktabat wamatbaeat mustafaa albabaa alhalabii wa'awladuhu, ta1, 1365 hi - 1946 mi.
34- alnajar, muhamad altayb, alqawl almubayn fi sirat sayid almursalin, bayrut - lubnan, dar alnadwat aljadidati, du.ta, da.t.
35- alnawawi, 'abu zakariaa muhyi aldiyn yahyaa bin sharaf alnawawii, bayrut, dar 'iihya' alturath alearabii, ta2, 1392h.